مسرح

على جناح التبريزي وتابعه قُفَّه

ألفريد فرج



علي جناح التبريزي وتابعه قُفة

ألفريد فرج

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

التبريزي .. دون كيشوت العرب

هل أحكي لكم حكاية " علي جناح التبريزي وتابعه قفة؟.. هل أحكي الحكاية كما جاءت في " ألف ليلة وليلة" .. أم أحكيها كما كتبها الأستاذ ألفريد فرج.. أم أحكيها كما قرأتها أنا هنا وهناك؟..

الواقع أن عنوان المسرحية يوحي من الفور بعنوان رواية " دون كيشوت" لكاتبها الأسباني سيرفنتس، وكان يمكن لسيرفنتس أن يطلق على روايته عنوانا مشابها لعنوان ألفريد فرج على هذا النحو " دون كيشوت وتابعه سانشو" ... فالشخصية الرئيسية هنا وهناك تكاد تكون واحدة، معدم يتصور نفسه ثريا وأميرا ويقنع تابعه بذلك، مع فارق واحد هو أن تبريزي كان بالفعل ثريا، وفارق آخر أن سانشو آمن بسيده حتى النهاية ولم يكشف سره ويكفر به مثلما فعل قفة مع سيده، وإن أحب كلا التابعين سيديهما..

في رواية سرفنتس ومسرحية ألفريد فرج توجد أميرة، ولكن أميرة الأول غير حقيقية بينما أميرة الثاني أميرة بحق، وقد خدعتا في الرجلين وأحبتاهما، وإن تزوجت الثانية ممن أحبت حتى بعد أن أدركت ادعاءاته..

ومع هذا لا يمكننا أن نجزم بأن ألفريد فرج نقل عن سرفنتس أو حتى تأثر به، كما لا نستطيع أن نؤكد بأن سرفنتس قد نقل عن " ألف ليلة وليلة" أو تأثر بها.. صحيح أن ألفريد فرج اعترف صراحة بتأثره بألف ليلة وليلة، بينما لم يعلن سرفنتس أنه تأثر بأي شيء أو بأي أحد"، ولكن الصحيح أيضا أن الرواية جاءت أسبانية خالصة، كما جاءت المسرحية عربية خالصة أيضا..

العملان يتناولان شخصية غريبة تكاد تكون خيالية أو أسطورية، فهي أقرب إلى الجنون أو البلاهة وإن كانت تتمتع بالسحر والإقناع والمعرفة والحيلة.. وإلى جواره أو خلفه شخصية بسيطة وواقعية، ومع هذا تستسلم وتسيركما لو كانت منومة مغناطيسا.. وحولهما شخصيات إما أن تصدق أو تستنكر، تسير وراء السراب ولا تريد أن تفقد الأمل.. ولكن دون كيشوت يصل إلى مصيره المحتوم بإرادة قوية دون تردد أو محاولة للفكاك، بينما يستجيب التبريزي لحيلة قفة في إنقاذه من موت محقق جزاء إنفاق أموال الآخرين دون وجه حق، على الرغم من قوله الحق " إنهم أعطوني أموالهم برغبتهم، ولم أطلب شيئًا من أحد" ويصر على أن

قافلته المحملة بالمال والذهب والجواهر والعتـاد والمـؤمن قادمة لا محالة.. وكما طاب سانشو من دون كيشوت تنصيبه أميرا على الجزيرة التي وصلا إليها، يطاب قفة من التبريزي تنصيبه أميرا على المدينة الصينية التي وصلا إليهـا سـيرا على الأقدام قادمين من بغداد.. ولم يتحقق لكليهما هذا الحلم.. وكان من الطبيعي ألا يتحقق الحلـم، لأنـه وهـم وخرافـة وخداع..

وهكذا نجد أنفسنا ونحن نمسك بـأطراف الحكايـة وبجوانب منها، أننا مضطرون لعقد هذه المقارنات الأساسية بين دون كيشوت والتبريزي أو بـين مـا كتبـه سـرفنتس وألفريد فرج، حتى وإن استبعدنا نقل أحدهما عن الآخـر، أو نقلهما معا عن " ألف ليلة وليلة" الأم...

فإذا كانت " ألف ليلة وليلة" قد اختارت بغداد وطنـا للتبريزي، أو هذه الشخصية التي تخدع الجميع بما لديها من ثروات لدرجة أنها تصدق نفسها، فهل حافظ ألفريد فرج على هذا الاختيار دون أن يدري ما قد يحدث من إسقاط تـاريخي عبر الأيام ، فنجد أن الشخصية الحاكمة في بغـداد تخـدع العالم أجمع حتى مطلع الألفية الثالثة بأنها تملك أسلحة الدمار

الشامل حتى لو أدى هذا الادعاء إلى تدميرها، ولعلها تكـون قد صدقت نفسها وصدقها تابعها أو شـعبها.. لاشـك أنهـا مصادفة، ولكن تركيبة الشخصية ليست مصادفة، على الأقل في جانب الادعاء، أما الجانب المثالي فـي شخصـية دون كيشوت الذي يتصور أن أهـل الحانـة ملـوك وأميـرات وراهبات وأن السجناء المجرمين ما هم إلا مسـتعبدين فـي الأرض يستحقون مساعدته في تخليصهم، وكـذلك الجانـب المثالي في شخصية التبريزي الذي يـوزع أمـوال الملـوك والأثرياء على عامة الناس والشحاذين، هذا الجانب المثالي لا نجده عند حاكم بغداد الذي يحول قوت الشعب إلى أموال في خزائنه ويرهب الناس ويسجنهم ويقتلهم ويسوقهم إلى الهاوية والهلاك رافضا أن يترك منصبه الذي قد ينقذ الجميع..

من هنا فإن هذه المسرحية " على جنـاح التبريـزي وتابعه قفة" تستحق العرض من جديد أيضا.. ولا غرابة فإن رواية " دون كيشوت" تقرأ على مدى الأيام، والجدير بالذكر أنها تحولت إلى مسرحية كتبهـا الفرنسـي إيـف جاميـاك وترجمت إلى العربية مثلما ترجمت الرواية، فهل ترجمـت " التبريزي" إلى اللغات الأخرى؟!

ننتقل من الموضوع إلى الشكل واللغة والأسلوب عند ألفريد فرج، فنجد أنه مثلما حافظ على التراث ونهـل منـه واستوحاه، حافظ على اللغة الفصـحى وإن تناولهـا بشـكل عصري لا تقعر فيه ولا غرابة ولا حذلقة، بل استخدم السهل الممتنع، والفصحى التي يمكن أن تقرأ عامية، بـل طعمهـا بكلمات عامية تتسق والشخصيات التي تسـتخدمها، بهـدف التخفيف والكوميـديا، وخاصـة فـي الحـوارات الجانبيـة والتعليقات التي تستدعى سرعة البديهة... ومن حيث تقسـيم المسرحية إلى فصول ومناظر، فقد آثر التقسيم العصري جدا رغم كتابته للنص في الستينات، إذ اكتفى بفصلين فقـط وإن أضاف منظرا أو مشهدا مستحدثًا للغاية أطلـق عليـه هـذه التسمية " بين الفصلين" ولا ندرى هل يقدم هذا المنظر بعـد الاستراحة أم قبلها بين استراحتين، المهم أنه شكل جديد غير مسبوق وغير مكرر..

كتبت المسرحية ونشرت وقدمها المسرح الكوميـدي لأول مرة عام ١٩٦٨.. ثم قدمها مسرح الشعب السوري في حلـب ١٩٦٩ وقـدمتها الجزائـر ١٩٧٢ وبغـداد ١٩٧٢ وبنغازي ١٩٧٤ والخرطوم ١٩٧٤ والكويت ١٩٧٥..

تقع المسرحية في واسطة العقد وهي في تقديرنا أهم مسرحياته، فقد كتب قبلها خمس مسرحيات " سقوط فرعون" و" حلاق بغداد" " وسليمان الحلبي " و" عسكر وحرامية" و" الزير سالم" و" زواج على ورقة طلاق" و" رسائل قاضي أشبيلية" و" العرب" و" عطوة أبو مطوة"

هذه المسرحيات جميعها قدمت على خشبة المسرح المصري بأنواعه: القومي والكوميدي والحديث والجماهيري والأهلي كما في عدد من الدول العربية: ليبيا والأردن والعراق وسوريا والجزائر و السودان، الكويت وتونس.. كما قدمت إحداهما " زواج على ورقة طلاق" على مسرح توكاد اللندني بالإنجليزية..

يقول ألفريد فرج معترفًا بفضل المؤلف الشعبي المبدع لألف ليلة وليلة، إن شخصية التبريزي نسجت على هذا النحو: مغامر، صعلوك، مترف، ذكي، جسور، مرح، متلاف، حاذق، ممثل، خيالي، شارد، محب، عادل.. وأن شخصية قفة نسجت على نحو آخر: ساخر، مدبر، واقعي، متشبث، مرح، متواضع..

وإن كنا نرى في الشخصيتين أكثر من هذا بكثيـر، كما نرى في المسرحية ذاتها الكثيـر والكثيـر، ونـرى أن الأستاذ ألفريد فرج هو الكثير والكثير!

فتحي العشري

***

علي جناح التبريزي وتابعه قُفة

الشخصيات:

علي جناح التبريزي	أمير فقد ثروته
قفة	إسكافي ثم تابع التبريزي
صواب	خادم التبريزي

المالك

التاجر

شبندر التجار

صاحب الخان

الأميرة

جارية الأميرة

الملك

الوزير

الجلاد

شحاذون. خدم. عساكر. أشخاص

قاض

متخاصمان

المكان: ألف ليلة...

الزمان: ذات ليلة.

الفصل الأول

بستان التبريزي

المنظر: بستان أنيق. في أعلى المسرح شجرة، وإلى اليسار جانب من قصر منيف وباب يفضي إلى الداخل القصر. وإلى أسفل اليمين باب البستان وأمامه مصطبة وجزء من الحارة الكائن بها القصر بحيث نرى القادم قبل دخوله البستان. باب البستان نصف مفتوح. داخل البستان على جناح التبريزي وخادمه صواب.

علي: ما معنى كلامك يا صواب؟

صواب: معناه يا سيدي أنه لم يبق لك في هذا القصر إلا ساعة زمن ويأتي مالكه الجديد ليتسلمه.

علي: غلط! الصحيح أنه بقيت لي في القصر ساعة زمن.

صواب: كما تحب.. ومعناه أنه بقيت لي ساعة زمن في خدمتك حتى يأتي المالك وهو سيدي الجديد...

علي: غلط أنت لم تبق لك في خدمتي إلا ساعة زمن.

صواب: كلما قلتها على وجه قلبتها أنت على الوجه الآخر!

على : قصدك أن أبين لك سروري من أنه بقيت لي ساعة وأنا سيد هذا القصر، وسأنعم بها.. وتعاستك حيث لم يبق لك في خدمتي غير ساعة ثم...

(يربت على كتفيه بتعزية مخلصة)

صواب: لا خلاف.

علي: عيبك يا صواب أنك دائما تـرى الأشـياء علـى وجهها المعكوس.

صواب: أنا؟!

علي: كأني بك صاحب مشاعر عمياء. تفـرح إذا أتتـك مصيبة، وتحزن إن أتتك النجدة..

صواب: أنا؟!

علي: لا خيال عندك...

صواب: لست خياليا أنا.

علي: (مكملا) ليس عندك أحلام. تصور. قوة كشف..

صواب: لكن أنا تنبأت بكل ما وقع لنا. ونصحتك ألف مرة وأنت تنثر ما ورثته عن أبيك وهو كثيـر، هنـا.. وهنا.. وهنا..، على أصـحابك، وولائمـك، و.. خيالك. حذرتك ولكن ما كنت أخاف منه وقع، حتى

ما بقي تحت يدك شيء يساوي درهما أو أقل من الدرهم. راح منك الدكان والقصر والفرش والخدم، وآخرها أنا..

علي: (متأثر جدا) الله يتولاك يا صواب، خسرت سيدا!

صواب: وأنت يا سيدي، خسرت قليلا؟

علي: (غير متأكد) يعني.

صواب: وأصحابك، أكلوا خيرك، ثم لما ألجأتنا الشدائد.. (يقلد شخصا ما) والله زوجتي مريضة والطبيب وصف لها كذا وكذا وثمنها كيت وكيت. سلم لي على سيدك.. (يقلد شخصا آخر) الواقع أن خالة امرأة أخي أتاها أمر الله، وصار علي تجهيزها حيث أنا كبير العائلة، وسلم لي على سيدك. (يقلد امرأة) سيدي؟! على الطلاق ما هو هنا. أتاه خطاب من قريب له مريض في آخر الدنيا وسافر..

علي: المصائب لا تأتي فرادى!

صواب: مصائب؟! لعلهم في وقتنا هذا يأكلون ويشربون ويقصفون ويتندرون بك!

علي: ونحن؟ إما نأكل ونشرب ونتندر بهم؟

صواب: نتندر بأنفسنا.. حيـث نأكـل الهـواء ونشـرب الذكريات...

علي: لم ؟! أما عدت تطبخ؟!

صواب: سلامتك يا سيدي! أنسيت أننا بعنا الموقد والأواني والملاعق وأطباق النحاس ثم بعنا الأكواب..

علي: (جانبا) عاودته الحالة. (لصواب برقـة) ففـي أي شيء تقدم لي طعامي يا صواب؟

صواب: (جانبا) مصر على السخرية مني (لعلي) صلّ على النبي يا سيدي في قلبك، ولا تعد إلى ما يحير عقلي فيك..

علي: (كمن يحاول تذكيره برقة) ألست أطلب منك فـي المواعيد طعامي، وأنت..

صواب: (يصيح في ضيق) نعم، أنت تطلب مني.

علي: وماذا تفعل أنت ؟

صواب: أجرى كالأبله إلى داخل البيت وأرج مادا ذراعـي كأنني أحمل طبق النحاس الكبير وعليه ما تشـتهي النفس وأضعه قدامك.

علي: آه! تذكرت الآن، طبق النحاس الكبير.

صواب: نعم. طبق النحاس الكبير.

علي: وعليه ما تشتهي النفس.

صواب: (مصححا) كأني عليه..

علي: وإذن ماذا على الطبق؟

صواب: وأين هو الطبق؟

علي: ففي أي شيء تضع الطعام؟

صواب: ومن أين لنا نشتري الطعام؟

علي: فماذا كنا نأكل؟

صواب: نأكل إيه يا سيدي؟ سلامتك! (يربت بحزن على بطنه هو)

علي: وماذا كنت تراني أمسك بيدي يا صواب، وأضع في فمي وأمضغه بأسناني؟

صواب: سيدي أنا حالما أضع الطبق.. (مستدركا) حالما أفعل كأني أضع الطبق، أمضي على الفور خوفا على عقلي من مضغك وتلذذك..

(يدخل قفة أمام باب البستان، مهلهل الثياب حول رأسه عصابة، يحمل على كتفه عشرة نعال

مربوطة في خيط واحد، يتأوه من التعـب، يقعـد على المصطبة. يتنهد، يمسح عرقه)

علي: وعلام أثنى على طبيخك بعد الأكل؟! وماذا تحمل من أمامي إذا فرغت؟

قفة: (يميل بأذنه فجأة ناحيتهم.. جانبا) يتحـدثون عـن الطبيخ (يتلمظ)..

صواب: (جانبا) والله ما عدت أدري جن هو أم جننت أنا...

قفة: (جانبا) بستان مليح أرضه مفروشة بالرخام (يمسح عرقه) طبعا . أكل وطراوة!

علي: فيم تفكر؟ هل راجعت نفسك؟

قفة: (جانبا) السيد يهدد خادمه..

صواب: (جانبا) لعله جن، فمنذ أربعة أيام لم يأكل!

علي: تذكرت الآن؟

صواب: (جانبا) أجاريه ساعة زمن. ربنـا يتـوب علينـا. (لعلي) نعم يا سيدي.

علي: اذهب لشغلك إذن عسى أن يأتينا ضيف لنكرمه..

قف: (جانبا) ضيف؟! السيد يقول: ضيف! سأصنع كأني أعمى وأماحكه عسـاه يضـيفني. (قفـة يرخـي

العصابة على عينيه)

قفة: أليس في هذه المدينة رجل مضياف يضيف إسكافيا تعبت قدماه في طلب الرزق ويتألم؟

علي: من الباب؟

قفة: (يدخل إلى وسط البستان) أنا يا سيدي. قفة. اسمي قفة. وصنعتي إسكافي. دائخ في الشـوارع أبيـع النعال ولا أحد يشتري مني حتى بهـرت الشـمس عيني، وأخشى أن أكون عميـت مـن الضـعف والجوع. أما تجرب نعلا يا سيدي بحـق سـاعة الغذاء هذه وهي مباركة..

علي: حظ حماك يا مسكين! صواب، أسرع بالغذاء لـي ولضيفي.

صواب: (يتردد) يا سيدي..

قفة: (جانبا) الولد الخدام لا تعجبه استضافتي..

علي: (لصواب) أسرع!

قفة: (جانبا) و لكن السيد ينهره.

صواب: (يحزم أمره) أمرك يا سيدي..

(صواب يخرج)

علي: أشك يا صاحبي لأخيك. لا تخجل مما أنت فيـه.. كيف حالك ومم تتألم؟

قفة: آه يا سيدي عافاك الله. أعلم أن أحسن النعال فـي الدنيا صنعتي. ولكني أين الرأسمال لأفتح دكانـا؟! بت طول الليل أفصل ونزلت من أول النهار أشق المدينة حتى تورمت قدماي وما استفتحت بشيء.

علي: يا مسكين. على لحم بطنك!

قفة: أي والله يا سيدي. طردني أصحاب الدكاكين مـن السوق لما تعرضت لزبـائنهم، أعـرض علـيهم بضاعتي! فلما رحت أبيع خارج السـوق رفسـني الشرطي!

علي: يا للعناء. وأنت على لحم بطنك!

قفة: (جانبا) كلما زدت في وصـف بلـوتي، زاد فـي إطعامي. (لعلي) والجوع كافر يا سـيد، مشـيت ودماغي في دموع العيال وصوات النساء ورمـد العينين وحياة العدم.

علي: آه آه آه. أألكون في بلد أنت فيه بهذا الشقاء!

قفة: أسعى في مناكبها.. ألتقط الـرزق.. (مسـتدركا)

بالحلال!.. (يتشمم، ثم يميل علـى علـي يسـأله بحياء) شواء؟

علي: ويشوونك يا مسكين؟

قفة: (يكاد يبكي) دنيا ضيقة ورزق عسير يـا سـيد.. (يتشمم فتغلبه شهيته ويأل عليا بصـوت خافـت) محمر؟ (يصيح) ويحمرونني يا سيد.

علي: لا. لا صبر لي على ذلك... (يهم بشق ملابسه)

قفة: (يمنعه) رويدك يا سيد حلفت بالله لا تشق ملابسك. (جانبا) يحب الندب.. (لعلي) هون عليك!

علي: (يفيض على يده بقوة) ولكن لا تحمل همـا بعـد اليوم، كن أخي وصاحبي و سـترى الخيـر فـي حياتك.

قفة: (جذل جدا) أنا أخوك وتابعك وظلك.. (جانبا) كريم جدا أم مغفل جدا؟ (يتشمم وجوعه يدفعه) المكتف؟

علي: ليكن عهدا بيننا.

قفة: (يصيح) عهـد الله! عمـر الله بيتـك! حقـق الله مقاصدك!

(يدخل صواب وكأنه يحمل طبق النحاس)

علي: أسرع يا صواب فصاحبي جائع!

قفة: ائتنا ائتنا. وسع الله عليك!

(صواب كأنه وضع الطبق أمامهما، وقفة يعتـدل ويشمر ساعديه. مازال معصوب العينين)

علي: مد يدك يا صاحبي ولا تستح. (كأنه يتناول شـيئا في فمه) الله!

(قفة يمد يده بمنتهى الثقة فـلا تصـادف شـيئا! يحركها يمينا وشمالا بلا نتيجة. يدفع بيديه الاثنتين في كل اتجاه. يجمد، ثم يرفع عصـابته بسـرعة فيفزع ويقفز مبتعدا وهو يرتعش)

علي: ما بالك؟ لا عليك بأس.

قفة: (بحذر لا شيء. غير أني في بعض الأحيـان أرى أشباحا..)

علي: وماذا رأيت الساعة.

قفة: (يشب ويتطلع إلى حيث الطعام الموهوم بخـوف) رأيت طعاما.

علي: فتقدم وكل بالهناء والشفاء.

قفة: (جانبا) إن كان مجنونا وخالفته فربما حصل لـي

منه ضرر. أجاريه لعل بعد ذلك يأتي الطعام. (يحزم أمره ويتقدم من علي، وهو يبذل جهدا ليتغلب على خوفه) سيدي لا تؤاخذني إن اضطربت ساعة رأيت الطعام، فذلك من طول شوقي إليه.

علي: (يقبض على ذراعه) تعالي، اجلس هنا في صدر السفرة، واضرب بيدك فيما شئت من الأطباق لا تستح! أنا أعلم ما أنت فيه من شدة الجوع. انظر هذا الخبز وانظر بياضه.. (كأنه يقدم له الخبز)

قفة: (كأنه يتناول الخبز ولا يزال يقاوم خوفه) الله! أحلف لك يا سيدي عمري ما رأيت أحسن من بياض هذا الخبز (كأنه يقطع ويأكل) ولا ألذ من طعمه. (جانبا) أما خبز!

علي: هذا يا صاحبي خبزته جارية كنت اشتريتها بخمسمائة دينار. ذق من هذا الكباب الذي لا يوجد مثله في طعام الملوك.

قفة: (كأنه يأكل) صدقت والله.. مدهش..

علي: كل يا ضيفي فأنت ضعيف ومحتاج إلى الأكل. ذق

هذه الفراخ المحشوة بالفستق...

قفة: (كأنه يذوق وقد بدأ يستمتع باللعبة) الله! لا إلـه إلا الله! يا مولاي. هذا الطعام لا نظير له في اللـذة. (يفعل كأنه يلقمه) بالله خذ هذا الصدر من يدي ولا ترده. (جانبا) الولد خليع وظريف والله. إن كـان غرضه يمازحني أمازحه ليكافئني بعدها. (يصيح) الله الله!...

علي: أكثر وتلذذ ولا تستح! أرأيت بالذمة أطيب من مرق هذه الأطباق؟

قفة: عمري! (يضحك ويعربد وقد ذهب خوفه وغلبـه مرحه)

علي: لولا براعة هذا الطباخ كنت طردتـه لأنـه قليـل الحياء ويخالفني في كل شيء.

قفة: (يفعل كأنه يلتهم بهمجيـة أطعمـة مـن مختلـف الأطباق بعيدها و قريبها، ويلتقط ما يتسـاقط مـن يديه، ويسمح ما يتسرب من فمه أو على ملابسه.. إلخ) حيا الله قلة حيائه!

علي: كل ولا تقصد.

قفة: (يتلوى على الأرض) آه يا بطني.. سيدي اكتفيت.

علي: آن أوان الحلويات. يا صواب، الحلويات.

قفة: (جانبا) أسال لعابي وأوجع معدتي لعنة الله عليه. غير أني أتعلق بالأمل.

(يدخل صواب كأنه يحمل طبقا كبيرا يضعه ويخرج)

علي: كل من هذه القطايف يا صاحبي. (يقدم له قطيفة) بحياتي خذ هذه القطيفة قبل أن ينسكب منها العسل.

قفة: (كأنه يتناولها بفمه) لا عدمتك يا سيدي (يمضغ بتلذذ) ياه! ما أكثر المسك الذي في القطيفة. وكيف بالله تطبخونها بكل هذا المسك؟ (يلحس شفتيه)

علي: أعلم أن هذه عادتي في بيتي. أحتم عليهم أن يضعوا في كل قطيفة مثقالا من المسك ونصف مثقال من العنبر. ثني بالنقل يا أخي..

قفة: ما أكبر هذا الجوز وما ألذ هذا اللوز! وما هذا الزبيب في حجم المشمش.. (كأنه يكسر ويلتهم)

علي: كل يا صاحبي ولا تحتشم.

قفة: والله أصبحت بيننا مودة ولعن الله الحشمة.

(يضرب على كتفه بقوة)

علي: (يضحك ويضربه على صدره بقوة) فكيف بنا بعد يومين؟

قفة: ياه! (يتمرغ على الأرض) سنصبح أخوة لحم ودم ونعمة آه يا بطني!

علي: كن قاسيا عليها وكل، ضيف الأمير علـى جنـاح التبريزي الذي يتحدث بلذة طعامه الركبان..

قفة: وياما سمعنا. (يقوم على ركبتيه ويفعل كأنه يخطف الطعام اختطافا من فوق المائدة)

علي: ليس من سمع كمن رأى وتلذذ.

قفة: أثارت حلاوة الطعام شهوتي ولم يعد عندي صـبر على المضغ.. هؤ (يصطنع الزغطة)

علي: ماذا جرى لك؟

قفة: هؤ. ماء؟ هؤ.. أشرب .. هؤ..

علي: ماء؟ ليس في بيتنا من يشربه، وإنما يشرب أجـود الخمر. يا صواب! الخمر وأسرع. (يصفق) (يدخل صواب كأنه يحمل أدوات الخمر، فما يـرى قفـة يعاني الزغطة حتى يفرغ، يضع الأدوات ويجري)

علي: (كأنه يصب لصديقه) ذق هذا الشراب فإنه يعجبك.

قفة: (يشرب ويتنهد بارتياح، ثم يعـود يمصـص فـي الكوب الموهوم ويتلذذ) ما هذا الشراب يا سيدي؟!

علي: أعجبك؟

قفة: جدا

علي: (يقدم له كأساسا وهميـا آخـر) هنيئـا، وصـحة وعافية..

قفة: (كأنه يشرب) هذا مسكر جدا.

علي: اشرب واطرب وانتشي..

قفة: معتق! عمره ألف سنة؟!

علي: (يميل عليه ويسر إليه) كلام في سرك هذا شـراب مسروق من حاصل عمر الخيام نفسه.

قفة: ياه!! دانت نزيه بشكل! (يصفعه)

علي: (يدهش. بغضب. يهب واقفا) ما هـذا يـا أسـفل العالمين؟!

قفة: (نهض هو الآخر في قفزة واحدة مبتعدا عنه. الآن يترنح ويكاد يسقط يمينا ويسارا) سكران والله يـا صاحبي ما أدري ما أقول ولا ما أفعـل! سـكران

طينة، الله يخليك...

علي: ستدفع روحك ثمنا. اقترب!

قفة: (يسقط من خوفه على الأرض يرتعش بشدة)
يا د اهيتي.
سيدي أنا عبدك الذي أنعمـت وأسـكرته، فعربـد عليك، ومقامك أعلى من أن تؤاخذه بجهله.

علي: يا صواب، السوط!
(يدخل صواب. يتردد. يسلمه سوطا وهميا)

علي: (يقف فوقه ويضربه بالسوط الموهمي) هذا جـزاء سفالتك. خذ!

قفة: (يقفز كالملسوع مبتعدا يتحسـس ظهـره بفـزع وبدهشة. جانبا) والله، سمعت السوط بأذني يمـرق في الهواء. إذن جلدت. (يصرخ ويتحسس جسـمه بألم) آه! يا ظهري!

علي: اقترب هنا.

قفة: الرحمة. النجدة. الغياث.. (جانبا بدهشة وذعـر) والله يوجعني موضع الضربة!

علي: اقترب!

قفة: اغفر يا سيدي لرجل عديم الحشمة. هزؤة. خفيف الدماغ فقد صوابه من كأس.

(يدخل المالك ومعه تابعه)

صواب: (يحاول تنبيه علي لوصول المالك) سيدي..

علي: (يضرب صواب بالسوط الوهمي) لا شأن لك!

صواب: (يقفز مبتعدا. يتحسس جسمه. جانبـا) ويلـي مـا أفزعني ؟ لعلي ضربت (يتحسس كتفه) نهار إسود! آه.. (يهرب فزعا إلى داخل البيت ويطل برأسـه على البستان من فتحة الباب)

المالك: ما الذي يجري هنا؟

قفة: (يرتمي على قدمي المالك) أغثني! (ثم ينفض حذاء المالك بكمه ويتأمل) يا سيد تبريزي. رجل غريب داخل البستان. أقرأ لك صفاته، أم أقرأ لك طالعه؟

المالك: (يتراجع وهو يرفس قفة) ما هذا الجنون؟

صواب: (وهو يطل من فتحة باب القصر) المالك الجديد يا سيد تبريزي..

علي: (كأنه يرمي السوط. للمالك) مرحبا بـك، تفضـل الغذاء.

المالك: والله ما أدري أنا ضيفك أم أنت ضيفي؟

قفة: (ينقض على حذاء المالك ينظر فيه) أنا أقول لك..

المالك: (يتراجع وهو يرفس قفة) موقف مؤلم. كنت صديقا لأبيه..

علي: استلم الدار ونحن مسافران. أنا وخادمي.

المالك: (يتنفس الصعداء) بالسلامة.

صواب: (يطل من فرجة الباب) أنا؟!

علي: لم أعد أحبك يا صواب. سأسافر مع خادمي كافور (يشير إلى قفة)

قفة: (مصححا) قفة يا سيد!

المالك: وأين المقصد إن شاء الله؟

علي: جبل قاف...

قفة: كاف!!

علي: قاف..

المالك: (بتطرف) هذا مكان في الحواديت فقط! ماذا تركبون إليه؟

علي: دائر الفلك.

قفة: لا. أصابني بدوار آخر مرة. بساط الريح أحسن..

المالك: (ينزعج ويتراجع خطوة نحو باب القصر. جانبـا لصواب) جن؟

صواب: سكران والله.

المالك: ومن أين يسكر؟

صواب: (حائرا) لا أدري!

المالك: ائذن لي يا سيدي أتفقد البيت.

علي: خذ راحتك .. معك.

قفة: لا تنفقها فتندم.

(يدخل المالك وتابعه القصر)

قفة: (يضحك ويقلد مشيته) من يكون؟ جد جدا

علي: بعنا له البيت يا كافور بما فيه.

قفة: والثمن؟

علي: سكرنا به.

قفة: متى؟

علي: على مدار الزمن.

قفة: (يضرب ساقه بيده) الله ! طيب والغدا يـا سـيد؟! رميت الشبكة طلع فيها صعلوك أميـر. وإلا هـو رمى شبكته طلع له فيها صعلوك فقير؟ إلا أننـي

أحببته. كأني كنت أبحث عنـه طـول عمـري.. سحرني بمجونه وغرابته، بجنونه وعقلـه.. إنـه مثلي. كما لو كنت أنا.

علي: يا صواب. (يدخل صواب متثاقلا)

هات بدلتك الفاخرة لهذا الغلام، صاحبي.

صواب: (يتلعثم) يا سيد .. أصل. حساب ال..

قفة: (يصيح) هات يعني هات. الفاخرة. شيء باردا!

علي: (يلقي لصواب بأحذية قفة) خذ هذه بقية حسـابك، وهات البدلة.

قفة: (يهم بإنقاذ الأحذية ولكن علـي يمسـك بـه مـن ملابسه) سيدي..

صواب: (يتأمل الأحذية تساوي كم يعني)..

قفة: آه.. نعال يا سيد! رأسمالي! بدلة إيه؟!

علي: ستحتاج البدلة لا النعال. غيرت حرفتك.

(البدلة تلقى إليه من فرجة الباب)

جربها!

قفة: (يلبسها فوق ملابسه) تساوي كم يعني؟ (يصـيح) من الذي غير حرفتي؟

علي: صاحبك. سيدك.. خذ كأسا آخر.

قفة: الله يجازي شطارتك. عذبتني وجوعتني، ثم جلدتني. طب والغذاء يا سيد؟

علي: ألك متاع في بغداد؟

قفة: كل متاعي فوق جسمي.

علي: وأنا أيضا. ألك أمل في أزقتها؟

قفة: أمل في يدي.

علي: يبقى خلاص (يقبض عليه) أنا وأنت. بلا خوف نسافر سكرانين.. تزود بشيء من الطعام قبل السفر.

قفة: أهذه المائدة لا تفرغ أبدا؟

علي: نسافر حتى نبلغ آخرها.

قفة: سأرى أين آخرها. (كأنه يتابع خشب المائدة حتى خارج الكواليس، ثم يعود يعبث في ملابسه؟ لا آخر لها....

علي: عم تبحث؟ برغوث؟

قفة: (يبحث في ملابسه) أهم معي نصفين. كنت ادخرتهما لغذائي. أربعة أرغفة بنصف وربع رطل

حلاوة طحينية بنصف. أنت دعوتني إلى مائـدتك بنية صادقة وأكون لئيما إن لم أرد الدعوة.

علي: معك غيرهما؟

قفة: أبدا يا سيدي. كل ما حيلتي.

علي: هاتها (يقبض على النصفين) كل ما يجـود بمـا معه. ولكن فلنشرب كأساس أخيرا نخب محبتنا.

قفة: (كأنه يقدم له كأسا ويتناول آخر.. ثـم يضـحكان هستيريا)...

علي: ما النكتة؟

قفة: والله إن مائدتك هذه أشبه بمائدة المصـائب التـي مددتها لك أول دخولي عندك. وأكلي على مائدتك أشبه بكونك أردت أن تشق ملابسك مـن تـأثرك بمصائبي.. فمع أني ما عندي عيال ولا صـوات نساء ولا رمد في عيني ولا ضـربتني الشـرطة، كنت ستبكي على حالي.

علي: لا. ما كنت سأبكي عليك، بل على إسكافي آخر لا يزال يعاني من كل هذا.

قفة: ولكنك لم تر هذا الإسكافي " الآخر"

علي: وهل يتعين أن أراه لأبكي عليه؟ أنا أعـرف أنـه يشق الآن في أحد شوارع بغداد على لحـم بطنـه ونعاله على كتفه.

قفة: عجيبة! كأني أنا بقى أتلذذ من ذلك الطعام الذي لا أراه وإنما أعرف أنه الآن مرصوص على مائـدة أخرى في المدينة..

علي: وهل كنت أتلذذ من لا شيء؟

قفة: أعطني عقلك...

(ظلام)

سوق المدينة

المنظر: سوق الفجر الباكر. في الخلف دكاكين مغلقة. وخان فوقه لافتة. يدخل علي، وقفة في بدلة صواب فوق ملابسه.

قفة: آه يا رجلي! آه يا ظهري! آه يا عيني!..

علي: منذ كم وأنت تنادي على أعضائك؟ أنت تبيعها؟

قفة: من التعب يا سيد!

علي: ما أتعبك؟

قفة: أما مشينا من بغداد إلى حدود الصين؟

علي: ركبنا القافلة.

قفة: ركب الأغنياء بينما نحن رافقنا القافلة، بدينارين!

علي: على قد فلوسك.

قفة: وأنت. ما عندك من الفلوس؟ أنا أمشي مع أمير، وأدفع كل شيء من جيبي.

علي: تذكر جيدا كيف دفعت أيضا.

قفة: وهل أنسى؟ دفعت بعد رفستين في ضلوعي!

علي: تذكر هذا دائما عند الدفع.

قفة: الحمد لله خلاص، على الحميد المجيد!

علي: هذا أصح لضلوعك.

قفة: يا عالم. طمعت في غدوة بلاشي.. وهكذا بدا كـل شيء.

علي: أملاك مشاك إلى حدود الصين.

قفة: ولكن يا سيدي أنا صرفت على الرحلة، أنا تابعك.

علي: أنا تابعك

قفة: أنا إسكافي فقير. وأنت سيد عظيم..

علي: أتبعك بصفتي سيدك.

قفة: ده أنا الخدام..

علي: وأنا السيد الذي يخدمك.

قفة: ده أنا يدك ورجلك...

علي: عقلك يخدم يدك يا إسـكافي، أم أن يـدك تخـدم عقلك؟

قفة: الولد ده مقنع بشكل. آه يا معدتي! آه يا عقلـي! آه يا إيده ورجله...

علي: ما الذي تفتش عنه في ملابسك؟

قفة: أنظر إن كانت أمعائي خرجت من بطني..

علي: الصراخ لن يطعمك.

قفة: منذ كم يا سيدي لم نأكل.

علي: أقل مما تتصور.

قفة: احسبها على كيفك. أهه من يوم ما تغدينا وسكرنا في بستانك. (جانبا) أهم.

علي: أتخفي مني شيئًا؟

قفة: قلة حيلتي.

علي: هذه أنت لاتخفيها أبدا. شحاذ بالسليقة.. أرني مـا تخبئه في يدك.

قفة: سأعترف على شرط.. أن أنفذ مـا أقترحـه فـي الحال.

علي: اقترب. ما في يدك؟

قفة: أهم. عندي جيب آخر غير الذي فتشته وكان فيـه نصفين. .أربعة أرغفة بنصف وبنصف ربع رطل حلاوة طحينية، وفي الحال.

علي: جيب آخر؟! يا مدلس! أرني..

قفة: (يبتعد) لا. أهم سأذهب وأشتري أنـا. انتظرنـي: (يخرج جريا، ثم لا يلبث أن يعود وهو يـرتعش) الدنيا ظلام. والسكك كلها شحاذون نائمون... مـا

هذا البلد؟! بلد فقير جدا. سأنتظر للصباح شـيء مخيف.

علي: أرى أن هذا البلد غني جدا .

قفة: وهؤلاء

علي: اعلم يا كافور..

قفة: اسمي قفة يا سيد.

علي: اعلم يا كافور أن المدينة كلما ازداد ثراؤها كثـر الشحاذون فيها، فالثورة العظيمة تشـعل التنـافس والتطاحن فيسقط الضعفاء بكثرة وتلتهب شـراهة الأغنياء كلما ضاقت حلقة المتنافسين. أظن أن هذه أغنى مدينة رأيتها في حياتي قياسـا علـى عـدد شحاذيها وعريهم.

قفة: وحفائهم.

علي: وحفائهم.

قفة: لا حياة لإسكافي هنا.

علي: أما اشتغلت صنعة أخرى في حياتك.

قفة: اشتغلت.

علي: في أي شيء؟

قف: في مهنة الطب.

علي: طبيب؟!

قفة: لا. أمشي إلى السوق وأضع سـلالا كبيـرة مـن حولي مغطاة بقماش تبرز من تحته رءوس ثعابين مخيفة ومعي أحقاق وأهتف: أنا حويس الحـاوي الرفاعي، في هذه السلال أخاذ الآجـال، الثعبـان الناشر مثل الأسـد الكاسـر. والهجـام الحجـام. والموت المطل واسمه الصل. ويل لمن رآه فـي خراب البقاع ونشر له عرفه كالشراع، أو نهشـه بغضبه على عصبه. في هذه السـلة يـا سـادة، الداهية المهلكة التي تدهي بالملكـة. والطيـارة، والطفارة تسكن المهمه الأقفر والبر الأغبر ونفسها يحرق الحشيش الأخضر.. فسبحان من قهرها بهذا الترياق (كأنه يعرض الأحقاق) وشهر به فضـل أندروماخوس في الآفاق. (حق آخر) وهـذا هـو المخلص مـن النهـوش والكسـور والعضـاض والأعلال والأمراض، ركبته لهذه الـدواعي مـن قرص الأشقيل وقرص العنصل وقرص الأفـاعي

وأضفت إليه الفلفل الأبيض والأفيون والزنجبيـل واستقرديوس واسطرخردوس وفوتنج..

علي: (يضحك) كنت أعلم أن الصـيادلة خطهـم غيـر مقروء، ولكن يبدوأن نطقهم أيضا غير مفهوم!

قفة: هذه كلمات للإيهام بقوة الداء.

علي: والأفاعي كنت تشتريها؟

قفة: ولا أفاعي ولا شيء. السلال فيها خرق وحجـر.. ولكن الإيهام بوجودها يساعد على إشاعة الرهبـة والثقة في الدواء. صنعة.. جربها.

علي: لا. إن دخلت أنا صنعة الطب فلا أقل من أن أكون شيخ الأطباء، لا بياعا تطارده الشرطة.

قفة: أتعرف كيف يقول الطبيب؟

علي: " أنا مقدام الآسي صاحب المباضع والمراسي. أنا الجراح القداح الذي يشد الأرواح، ويدمل الجراح. أين صاحب سدد الأذنين والأعمى مـن سـنة أو سنتين؟! من في الأطبا يحسن إمساك صـنانيري، أو يسمر الجفون تسميري. من يقـدح قـدحي أو يخرج جرحي؟! هل لأحد منهم إقدامي وجرأتـي

على من يكون قدامي؟!"

قفة: هذه هي الخطبة يا سيدي. فماذا عن العلاج؟

علي: رأيت أن أحسن الأطباء دائما هـم أبـرعهم فـي الخطب..

قفة: والعلاج؟

علي: الكلام القوي ثقة المريض في طبيبه! وهو نصف الشفاء.

قفة: نصف الشفاء لن ينقذ حياة المريض. فإن مات..

علي: ولا شيء، فالجلاد والطبيب والجندي يقتلون القتل المشروع.

قفة: الولد ده مقنع بشكل.

علي: ولكن اسمع يا كافور.

قفة: قفة يا سيد. قفة!

علي: اسمع يا كافور. إن اتخذت صنعة وأنت غريب من المدينة فلا مفر من أن ترشو شيخ الصنعة ليقبلك، وتماحكك الزبائن ويسخفون مهارتك لقللوا أجرك، بينما يتحرش بك أصحاب الصنعة من أهل البلـد، ولا يعدم الأمـر أن تغضـب أو تشـتم أحـدهم

فيجتمعون عليك ويضربونك ويطردونك. فإن تاجرت وأنت غير معروف، سيجتمع على بضاعتك أهل الفضول من الناس ليروا إن كنت تبيع بسعر أرخص من سائر تجار المدينة، فإن أغروك بالبيع بسعر أرخص عاداك التجار، وهم دائما أصحاب رجال الشرطة والوالي! عندئذ ستلفق لك التهم، وتجد نفسك في السجن.. فإن آثرت السلامة ووقفت على رأس الزقاق تعترض العابرين وتقول: حسنة لله، سيحتقرونك، ويضربك شحاذو الناحية، وتصير عند أولاد الزقاق مسخرة..

قفة: راحت السكرة وجاءت الفكرة، فعلام جئت بنا للصين؟!

علي: إن كنت غريبا، فاتخذ أحب صنعة للغريب في بلد لا يعرفه فيها أحد..

قفة: وما هي؟

علي: الفرجة على بلاد الناس.. نحن سواح.

قفة: صعلوكان.

علي: وأحب السواح لأهل البلد .. السواح الأغنياء.

قفة: أغنياء؟! نحن؟!

علي: نعم لا داعي لانتحال الصنائع وادعاء المهارات...

قفة: (هازئا) لابد أن نلتزم الصدق.

علي: تماما أنا على جناح التبريزي أغنى الأغنياء بغداد والأرض الممتدة من الصين حتى الأندلس، وأنت تابعي وخادمي كافور.

قفة: وأي بأس في أن أكون قفة؟

علي: عندئذ سترى التبجيل والاحترام والاستقبال الرقيق.

قفة: وكيف يا سيدي ستظهر لهم غناك العظيم؟

علي: عليك أنت أن تعرفهم بي.

قفة: أنا؟!

علي: تبيعني كما تبيع جوهرة. بلسان بياع شاطر.

قفة: ماذا أقول؟

علي: تقمص دورك، ثم قل ما يخطر على بالك بلا تكاف.

قفة: بلا تكاف؟!

علي: أطلق لتصورك العنان.

قفة: لا أعرف ماذا أقول؟

علي: أيهيه. ألا تعرف كيف تقول: أنا فقير وغلبان والجوع كافر ودموع العيال ورمد العينين وحياة العدم..

قفة: هذا أحفظه جيدا.

علي: صفات البؤس والشقاء ! جرب صفة القوة والسعادة! قل: أنا غني وكريم. عيالي أصحاء أقوياء..

قفة: آه ! شحاذة الأغنياء يعني: عندي سفرة، فيها الكباب الذي ليس مثله عند الملوك، والفراخ المحشوة بالفستق.. وبعدها دفعت أنا حق القافلة.

علي: جرب أن تصفني. من أنا؟

قفة: شبندر شبندرات الدنيا كلها.. على جناح التبريزي صاحب قطارات القوافل السيارة، ومالك العمارات الطافية على البحار السبعة، عنده من الدر اليتيم ما لو اجتمع فوق بعضه لحجب نور الشمس..

علي: هكذا. ولكن ضع الكلام دائما في موضعه! لا تلق الكلام في غير مناسبة، فهذا ما يصنع المدعي لا

الغني.. واقتصد..

قفة: ولم نقتصد؟

علي: خشية الحسد

قفه : الحسد؟!

على : ولا تتباهى أمام الناس، خشية الحقد.

قفة : لا تباهي.

على : وانطلق بلسان مستقيم صادق.

قفة : آه! بس لو ساعدتني ببعض التفاصيل، فلا خبـرة لي أنا بالثراء؟

على : لا تهتم بالتفاصيل! أطلق لخيالك العنان، تجـدني عند آخر حد يبلغه تصـورك، واعلـم أن أحـلام الناس ستساعدك لأنها سترافقك، وهي أقوى أجنحة من أحلامك مهما فعلت..

قفة : (يرتعش فجأة) وإن انكشفنا، ضاعت رقبتي!

على : ما ثمنها؟

قفة : أقل من ثمن رغيف.

على : لا ترتعش! أقم ظهرك! ارفع وجهك! ثبت قدمك..

قفة : وهل يكفي الكلام وحده يا سيدي؟

علي: لو تأكد الكلام بفعل..

قفة: أي نوع من الأفعال؟

علي: كرم!

قفة: لو عندنا؟!

علي: لو عندنا؟!

قفة: لا ، ارجع عني. نصفين . أربعة أرغفة بنصـف وربع رطل حلاوة طحينية.. قف! ماذا تريد؟

علي : (أمسك به يفتش ثيابه) الجيب الرابع.

قفه : (يتماص) لا. ليس معي شيء! ليس عندي جيـب رابع! آه! السارق! الغياث..

علي : هذا الرجل يدافع عن كيس نقوده أكثر مما يـدافع عن أعضائه التي كان يبيعها من ساعة.

قفه : الغياث! وقعت!

علي : يا بن الإيه! معك كل هذا المـال وتمشـي علـى قدميك من بغداد للصين!!

قفة : (يرفس) الزمن غدار يا سيد.

علي : أنت الذي تغدر بنفسك..

قفة : رأسمالي كنت أدخره لشراء دكان يقيني المهانة.

علي : فعلام سافرت معي إلى آخـر العـالم؟ لا أفهـم حكايتك مع الفلوس.

قفة : انتظر (يخرج دفترا صغيرا)

علي : ما هذا؟

قفة : دفتر الذمامات، لابد من كتابة حسابنا. معك ٣٠٠ دينار. والقافلة ديناران. وكم نصفا أكلنا بها..

علي : أرى قادما. تعال جانبا لنظر من يكون أولا...

(يختبئان في الكواليس. يدخل التاجر من الـيمن. يوقظ شحاذًا راقدا على الأرض)

التاجر : (للشحاذ) ولد. خذ هذا الدرهم وعطل الشبندر حتى يفتح دكانه بعدي.

(التاجر يفتح دكانه ويخرج الأقمشة والبضائع بينما الشحاذ الأول يرقب الطريق ينتظر الشبندر)

طيب يا شبندر. إن ما كنت أجعلك تفلس..

(يدخل الشبندر من اليسار. سمين مسرع. يـوقظ أول شحاذ نائم يصادفه)

الشبندر: ولد، خذ هذا الدرهم وضايق التاجر وضيق صدره حتى يتشاجر مع زبائنه ولا يبيع في يومه.

(الشحاذ الثاني يسرع ناحية التـاجر يشـحذ منـه ويماحكه.. بينما الشحاذ الأول يلحق الشبندر)

الشحاذ الأول: (يعرض طريق الشبندر ويحاوره) حسـنة لله يـا سيدي، ربنا يخلي لك عيالك يا سيدي.. ربنا يجعل استفتاحك قشطة يا سيدي.

الشبندر : امش يا ولد. امش..

الشحاذ الثاني: (للتاجر) إيه ده؟! ربنـا يهلـك الظـالم ويجعـل استفتاحه زفت.

التاجر : (يجري خلفه بالعصا) نهـارك أسـود يـا شـؤم الشحاذين.

الشبندر : (لا يزال عاجزا عن بلوغه دكانه) امش يا ولد.. امش..

الشحاذ الثاني: (للتاجر) والله أجيء لك بالشرطة تقبض عليك مثل المجرمين.. داهية تقرفك..

(صاحب الخان يفتح خانه ويتثـاءب، وشـحاذون يقتربون من اليمين واليسار يرقبون)

صاحب الخان: كل يوم الصبح زيطة! هؤلاء ليسوا شحاذين. هذا هجوم التتار. سأشكو للملك حتى يمنع الشـحاذين

من السوق. وسأذبحكم وأقدمكم للزبائن بلا شيء.
هات سكينة المطبخ يا واد.
(يطل علي وقفة من الكواليس)

علي : الآن فتح الخان.. ياللا.. (يدفعه)

قفة : (يرجع مترددا) دعني استعد.

علي : (يدفعه) لا تخف!

قفة : (يتعاظم ويتقدم من صاحب الخان) اسـمع يـا .. اقترب مني حتى أكلمك.

صاحب الخان: نعم؟! من يكون هذا أيضا؟

قفة : أعندك كرسي وثير، منجد بالدمقس الأحمر الغالي وفوقه شلتتان مطرزتان بخيوط الذهب، ويصـلح لجلوس ملك أو أمير؟

صاحب الخان: لم؟

قفة : ليجلس عليه سيدي.

صاحب الخان: ومن يكون؟

قفة : (مستهولا السؤال) هاه!.. أتسـأل يـا لكـع، والله لأقتلنك هذه الساعة وأدفع ديتك أيا كانت..

صاحب الخان: صباحك مثل وجهك.

قفة : إذن لا تفاهم مع السفلة! (يختطف سيف التبريزي من غمده ويهجم على الخان. صاحب الخان يخرج في التو. يتراجع قفة حتـى يـدخل فـي صـدر التبريزي) سيأتي بسكين المطبخ.

علي : (يتقدم مترددا. يبدو عليه أثر رؤيته للكرسي قبـل ظهور صاحب الخان وهو يحمله) ضعه هنـا. لا. هنا. لا لا. هنا. تفضل يا مولاي.

علي : (ينزع سيفه من قفة وينهال بصفحته علـى قفـة ضربا) أتعود تنزع سيفي من غمده لتشره علـى الناس. (جانبا) أصرخ عاليا جدا. (بصوت عـال) لابد أن أقتلك هذه المرة. أعتـذر لصـاحب هـذا الخان. وقبل يده في الحال!

قفة : آه! الغياث. (صاحب الخان) أطلب منك الصفح يا سيدي. تشفع لي. آه (جانبا لصاحب الخان) سيدي رجل جبار. بفلوسه. قتال. بفلوسه! سفاح على قد فلوسه. الرحمة!

صاحب الخان: (ينحني لعلي مرات) سيدي. اجعل ذنبه علـي. لا تعكر دمك. بالله عليك يا سيدي. (جانبـا) الولـد

رذيل، ولكن سيده أمير خطير..

علي : قف ساكنا!

قفة : (يقف منتصبا ويسكت في الحال) إهه!

صاحب الخان: (جانبا) جبار صحيح! سأخدمه جيدا لينالني فضله! (لعلى) نهارك مبارك يا سيدي..

علي : (يكبش من كيس نقود قفة ويعطيه) خذ.. تعويضا عما لحقك من إهانة هذا الولد.

قفة : (يشهق ويحملق في نقوده التي أخـذها صـاحب الخان) ها...!

علي : (ينهره) ش!

صاحب الخان: (يفيق من ذهوله) تعويضا؟!

علي : عن إهانة خادمي لك!

صاحب الخان: يا أمير الزمان. يا صاحب الفضـل والإحسـان. (يجذب أحد خدم الخان) ادع كل الخـدم! اتركـوا الزبائن والتفوا حول هذا الأمير لقضـاء طلباتـه. أسرع (لعلي مولاي. أأمر وأنت السيد المطـاع.. (للشحاذين الذين اقتربـوا فـي فضـول وحـذر) ابتعدوا.. بره السوق بره..

علي : لا، دعهم يا صاحب الخان. اقتربوا يا أصدقائي الفقراء.. ما أتعسكم! كان الله في عونكم. خذوا.. (يخرج كبشة ذهب من كيس قفة فيهجمون على يده. يهم قفة بمزاحمتهم لولا أن تمنعه قبضة علي) دعهم لا تخف منهم علي.

قفة : (جانبا) شقا عمري!

علي : (يعطي الشحاذين واحدا واحدا بالكبشة) لا تتنازعوا، ستجدون عندي حاجتكم.. (يطل كل شحاذ فيما بين يديه بذهول)

صاحب الخان: (جانبا لقفة) هذه عطايا ملوك! يعطيهم ذهب!

قفة : (بنبرة حزن ونبرة تأكيد) ذهب! ذهب!

شحاذ ١ : يعطي من غير عدد..

شحاذ ٢ : عدد..

خادم الخان: (جانبا) من أصحاب النعم الجزيلة..

قفة : (بنبرة حزن ونبرة تأكيد) جزيلة! جزيلة!

علي لا تتنازعوا، ستجدون حاجتكم..

شحاذ٣ : تجدون حاجتكم..

صاحب الخان: (جانبا) لولا عنده شيء كثير...

قفة : (بتأكيد وبحزن) كثير! كثير!

صاحب الخان: ما كان أعطى..

شـحاذ ٤ : عنده كثير.

خادم الخان: (جانبا) عنده شيء كثير...

قفة : كثير!

علي : لا تتنازعوا.. اقتربوا..

صاحب الخان: (جانبا لقفة) لا يزال يقول اقتربوا..

قفة : (بنبرة حزن حقيقي) تسمع بأذنيك!

(طبول. تدخل ثلة عساكر يفرقون الشحاذين بالسياط)

العساكر: ابتعد أخل الطريق! ابتعد! أخل الطريق..

(الشحاذون يتفرقون)

قفة : (جانبا لعلي) نهار أسود. جاءوا يقبضون علينا.

(يرتعش)

علي : (جانبا لقفة) لا تكن رعديدا! ماذا فعلنا بعد؟...

قفة : (جانبا لعلي) يمكن ممنوع توزيع فلوس. أتعلم أي مدينة هذه؟

علي : (جانبا لقفة) انظر. هذه أميرة.. يا جمالها.

(تدخل الأميرة تتبعها جاريتها وخادم صغير)

قفة : (يدور حول نفسه) يا نور النبي.

علي : (يشير لصاحب الخان فيقترب ويميل عليـه) مـن هي؟

صاحب الخان: بنت الملك يا سيدي. (ويعـود يقـف علـى بعـد باحتشام)

علي : (جانبا لقفه) بنت الملك..

قفة : أنا دخلت.

(الأميرة دخلت دكان الشبندر)

علي : (يشير لصاحب الخان فيقترب ويميل عليه) أين تقصد؟

صاحب الخان: دكان الشبندر يا سيدي. (يعود يقف كما كان)

علي : (جانبا لقفة) دكان الشبندر..

قفة : لم أعد أرى..

علي : هيا بنا..

قفة : أين؟

(التبريزي يتوجه إلى دكان الشبندر وقفة وصاحب الخان يتبعانه، وقد خرجت الأميرة مـن الـدكان يتبعها الشبندر والجارية والخادم وكل منهم يحمل على يديه الثياب والأقمشة والشراريب الذهبية وما إلى ذلك لترى الأميرة ألوانها في ضوء الشـمس بينما العسـاكر أخلـوا السـوق مـن الشـحاذين واصطفوا حوله)

الأميرة : لا. لا أحب اللون، ولا التفصيلة..

الشبندر : عندي الألوان كلها. انظري هذه..

علي : (يقبض على الثوب) كيف تعرض على الأميرة ما لا يليق بخادمة مطبخها؟!

الشبندر : نعم؟!

علي : اصطنع الدهشة ما تشاء! ألا تـدري أن القمـاش الذي يليق بأميرة لا ينقطع هكذا؟! (يمزق الثوب) ولا ينقطع هكذا؟! (يمعن في التمزيق)....

الشبندر : ماذا صنعت؟!

علي : اجعل ثمنه علي! يا كافور، خـذ الثـوب وارمـه

لشحاذة..

الشبندر : سيدي!

(التاجر من بعيد يرقب بلذة)

علي : وهذه الشراريب. تنقطـع.. (يقطعهـا ويرميهـا لكافور) وهذا الديباج (يقطعه) أولى بك أن تتصدق به. اجعل ثمنه علي.

الشبندر : لا!!...!

(الأميرة تضحك في حضن جاريتها بينما صاحب الخان يجذب الشبندر من ذراعه ويطمئنه علـى ماله)

علي : يا كافور، أرني ما بداخل دكانه أيضا..

الشبندر : (بتمسكن) يا سيد..

الأميرة : أيها الشاب!

علي : (ينحني لها) غريب يا مولاتي يتمنى أن يخـدمك بقلبه وبسيفه وبماله..

الأميرة : أتعرفني أيها الشاب؟

علي : نعم، أنت شمس النهار للمبصر، وعطر الزهـرة للمحب، ولحن البلبل للشجي..

الأميرة : (لجارتها وهي تستند على ذراعها) عودي بنا إلى البيت..

(يخرجان من حيث جاءتا وخلفهما العساكر بينمـا يعود الشحاذون)

العساكر: أخل الطريق!.. ابتعد!

قفة : (يعود من داخل دكان الشـبندر يحمـل ملابـس) سيدي. ذهبت؟

علي : أعط الثياب للمحتاجين يا كافور.

قفة : (ينظر ناحية موكب الأميرة) آه.. يا وعدي!

علي : (جانبا لقفة) أفق!

قفة : (للشحاذين) تعالوا. لا تتنازعوا. لكـل نصـيب. (يحيط به صاحب الخان وخدمه والتاجر والشبندر وخدمهما والشحاذون وأمامه كومة الثياب) شـش! لا يسمعني! (ينتقل إلى يمين مقدمة المسرح وهـم خلفه كتلة واحدة) هو أغنى أغنياء الزمان. (ينتقل إلى وسط المقدمة وهم خلفه كتلة متماسكة) علـى جناح التبريزي.

شخص ١: (بجوار قفة يبلغ صاحبه في آخر الكتلـة همسـا)

اسمه على. جناح. التبريزي.

قفة : (ينتقل يسارا) أمواله وأموال أبيه مشـهورة فـي العواصم والثغور. ولا يوجد في الدنيا رجل أكثر منه مالا! له شركاء في الهند. فـي السـند. فـي اليمن. في مصر. في فارس. في بلاد الفرنجة..

شخص ٢: (يبلغ صاحبه في آخر الصف همسا) له شركاء في الهند وبلاد الفرنجة..

قفة : (ينتقل يمينا، ثم يعدل ويعود وهم خلفه كتلة واحدة) وهو في الكرم على قدر عظيم فـاعرفوا قـدره، وارفعوا مقامه، واخدموه..

شخص ٣: (لصاحب له في آخر الصف همسا) فـي الكـرم عظيم.

قفة : واعلموا أن مجيئه إلى هذه المدينة ليس من أجـل التجارة، وما مقصده إلا الفرجة على بلاد النـاس، لأنه غير محتاج....

شخص ١: (لصاحب له في آخر الصف همسا) غير محتـاج. جاء للفرجة.

قفة : غير محتاج إلى التغريـب مـن أجـل الـربح

والمكاسب لأن عنده.. (لحظة، ثم ينتقل بسـرعة لليمين وهم خلفه)

شخص ٢: (لصاحب في آخر الصف همسا) سيقول ما عنده..

قفة : أحب سيدي أن يطوف العالم للفرجة، فأخـذ مـن بعض حواصله ما يكفي للنفقة أثناء السفر فكانـت قافلته التي تتبعنا، وفيها ثلاثمائة بغل، وكل بغـل موكل به مملوك يقوده، وعليها صـناديق الـذهب والمعادن المختلفة، وخلفها خمسمائة جمل كل مائة تحمل من قماش بلد مختلف.. أقمشـة مصـرية، وأقمشة شامية، وأقمشة عجمية، وأقمشة هنديـة، وأقمشة رومية.. وحولها كلهـا ثلاثمائـة فـارس للحراسة، هم أفراس أهل زمانهم. وتأخرت القافلة لثقل أحمالها وبطء خطواتها، فلما سئم سيدي طول السفر أخذني وسبقنا لننتظرها في مدينتكم.. ذلـك أن سيدي عنده.. (يتوقف قليلا).

شخص ٢: (لصاحبه في آخر الصف) سيقول ما عنده..

قفة : أموالا تأكلها النيران. وأنا أحقر خدمه..

شخص ٣: (لصاحب له) هو أحقر خدمه.

قفة : دعوا سيدي يشم الهواء ابتعدوا قليلا..

(حلقه حول على. يقترب منه التـاجر والشـبندر وخلفه صاحب الخان وخدمه، وقفة يوزع الملابس فيلبسها الشحاذون)

التاجر : سيدي، لعل في قافلتك شيئا من الديباج الموصلي.

علي : كثير..

الشبندر : هل بقافلتك يا سيدي جوخ حلبي؟

علي : كثير...

الشبندر : أحمر ودم الغزال؟

علي : كثير...

صاحب الخان: مولاي معه أحمال وأحمال من الأقمشة المثمنة.

قفة : (جانبا لمن حوله) كلها أخذها من حاصل واحد من حواصله، وما نقص منه شيء.

(يدخل شحاذون جدد يتصايحون)

شحاذ ٥: نحن ما أخذنا نصيبنا بعد يا مولانا...

علي : تقدم.. (يكبش ويعطيه) لا تتنازعوا.. اقتربوا..

شحاذة ٦: (تصيح ووجهها في الكواليس) يا بهانة، في السوق أمير غريب يوزع الذهب...

شحاذ ٧: (يصيح ووجهه في الكواليس) يا رزقة! حصـليني في السوق..

(قفة فرغ من توزيع الثياب ولحق بسيده)

قفة : (هاله أن ما له كاد يفرغ. جانبا لعلي) سيدي. أبق شيئا لنا.

علي : (جانبا لقفة وهو لا يزال يوزع بالكبشة) كله بـاق لآخرتك.

قفة : (جانبا لعلي) آخرتنا النهارده إن شاء الله.

أصوات : قافلته أولها هنا وآخرها جمال باركة في بغداد..

قفة : (جانبا لعلي) ليس عندي جيب خامس.

علي : (جانبا لقفة وهو ما يزال يعطي) رحمة الله أوسـع من جيوبك.

أصوات : يتفرج على المدن، والتي تعجبه يشتريها..

قفة : (جانبا لعلي) شقا عمري كله يا ظالم!

علي : (جانبا لقفة وهو لا يزال يعطي) عمر رخيص..

أصوات : لما علم الله فقرنا أرسله!!

(فرغ الذب فمال علي برأسه في كفيه)

صاحب الخان: (لقفة) ما لسيدك؟ مريض؟

قفة : (جانبا في غاية الجزع) لعل نبضه توقـف مثـل نبضي.

الشبندر: ضيقتم نفسه يا ملاعين. ابتعدوا..

علي : (يرفع رأسه وكفيـه للسـماء) حسـبنا الله ونعـم الوكيل.

شحاذ ٥: بعد الشر عنك يا مولانا.

شحاذة ٦: اسم الله عليك يا ولي الله.

صاحب الخان: يؤلمك شيء يا سيدي؟

علي : رأيت أغلب أهل هذه المدينة فقراء مساكين. ولو كنت أعرف أنهم كذلك، كنت جئت معي في زكيبة بجانب من المال أحسن به إليهم. أخاف أن يطول انتظاري لقافلتي ومن طبعي أني لا أرد السـائل، وما بقي مع ذهب..

التاجر : قل لمن أتاك الله يرزقك.

علي : ما هي عادتي.. وما كنت أظنني أفعلها وأنا فـي غربتي..

صاحب الخان: لا عليك يا سيدي. معـي بعـض المـال الـذي أعطيتنيه خذه حتى تأتيك قافلتك ولا تقنط.

التاجر : (يتدخل وفي يده كيس نقود) سيدي ومولاي. تكرم على خادمك الماثل بين يديك واقبل هـذا الكـيس قرضا حسنا حتى تصل القافلة..

علي : (يقف بابتهاج. يتناول الكيس. يـده علـى كتـف التاجر) لن أنسى جميلك ما حييت..

أصوات : لن ينسى..

علي : أيها الصديق..

أصوات : صديق..

علي : الحبيب..

أصوات : حبيب...

علي : الأخ...

أصوات : أخ..

(ينثر الكـيس كلـه فـوق النـاس.. يصـطرع الشحاذون ويندس التاجر بجزع بيـنهم ينـازعهم المال)

قفة: (جانبا وقد خبأ عينيه بيديه) أخ

الشبندر : (أتى بكيسين) مولاي. خل مال هذا التـاجر فإنـه فقير.

خذ مني أنا..

التاجر : (ينهض) لا تصدق منافسي يا مولاي، أنا أغنى منه. كنت فقط أساعد الفقراء الأعزاء على جمع المال (يفعل كأنه يساعدهم) خذ يا صاحبي. لك يا صديقي. يا للا يا حبيبي..

أصوات : ما جرى في الدنيا.. حبيبي صديقي!!

علي : (يتناول كيسي الشبندر وينثرهما على الشحاذين)..

الشبندر : (لاهثا غير مصدق جانبا) لابد أن يكون ملكا من الملوك، أو لعله خليفة بغداد نفسه. (لعلي) سيدي ومولاي. إن سكنى الخان لا يليق بمقام أمير مثلك وعندي دار حسنة إذا تعطفت وتكرمت وتواضعت...

التاجر : (يزاحمه) بل لا ينزل إلا في داري أنا.. أنا أقرضته قبلك.. (يتماسكان)

قفة : (في أقصى المسرح كأنه يخطب) أيها السادة، بدل الشجار، أسرعوا بالفطار. سيدي أضعفه وجوعه السفر. جيئونا بخبز رقيق أبيض، بياضه حقيقي يرى بالعين، وبيض مقلي في القشطة يسمع

طشيشه بالأذن، حمام مشوي نتأكد مـن وجـوده بلمس اليد، والحلويات، لا تنسوا القطايف! سـيدي يحبها محشوة بالفستق الذي تجرشه الأسنان فتخبر عن صدق وجوده في ثقة، (يصيح أعلى) والزلابية بالعسل الأبيض!

(ظلام)

قاعة الملك

المنظر: قاعة الملك. خلف عرش الملك ستارة تفصل القاعة عن مقصورة الحريم. في المقصورة الأميرة وجاريتها تتابعان ما يجري بالقاعة. في القاعة الملك ووزيره وسيافه والتاجر والشبندر.

الملك: أنتما بالذات تقعان في حبائله ؟!

الشبندر: لو سمعت يا مولاي عنه...

الملك: أين الذكاء؟! أين الاحتياط؟! أين الحذر؟!

التاجر: لم يعف الحذر من القدر؟

الملك: ولد! غلام كما تصفانه..

الشبندر: أخذ بيتي! أبيت أنا في الخان ويعربد هو مع السفلة في حديقة بيتي.

الملك: وكيف أخذ بيتك؟

الشبندر: أنا دعوته ليقيم فيه.

التاجر: نازعته في دعوته. راح ما أمامي وما ورائي، الحمد لله أن بقي لي بيتي..

الشبندر: إلا أننا يا مولاي لم نتأكد بعد...

التاجر: لا تزال تحسن الظن يا شبندر؟!

الشبندر: عندي أمل.

الوزير: الرأي عندي أنه نصاب وكذاب.

التاجر: زلزل البلد! كأني به يعيد توزيـع الثـروة علـى هواه.

الشبندر: وزع ستين ألف دينار في أيام..

التاجر: السفلة والشحاذون واللصوص زاحمونا في السوق بدكاكين وصنائع وصار لهم رأسمال ويتكلمون في الصادر والوارد.

الشبندر: دار رأسي ولم أعد أعرف ما الصحيح؟!

الملك: والله ما رأيت تجارا خابت هذه الخيبة. الآن يأتي ونرى.

الوزير: الرأي عندي أن نقتله الساعة.

الشبندر: إلا أننا لسنا متأكدين ولعل أن تكون له قافلة..

التاجر: عنده أمل!

الأميرة: (تمد يدها من الستارة خلف العرش وتشير لأبيهـا بإصبعها تناديه) بست. بست. بست...

(الجميع يتطلعون ليدها التي تنسحب إلى الـداخل

والوزير أكثرهم شغفا بيد الأميرة ! الملك يـدخل عندها) ما هذا الدلع! بست؟ بست؟ ألا ترين أنـي أصرف شئون المملكة.

الأميرة: كنت ستخطئ يا أبي.

الملك: في أي شيء أخطئ؟

الأميرة: في حكاية هذا الشاب

الملك: ما باله؟

الأميرة: هو أحسن منهم، وابن ملـك عظـيم، حلـو... الشمائل.

الملك: وكيف عرفت ذلك؟

الأميرة: قابلته في السوق.

الملك: الله الله ما بقي إلا هذا!

الأميرة: (تبكي من فورها) رأيته فقط.

الملك: لن تخرجي السوق ثانية! فاهمة.

الأميرة: سترى أنه شريف. ولن أتزوج الوزير..

الملك: وهل أنا ضربتك على يدك؟

الأميرة: هه. هه. كلما ساعدتك تنهرني.

الملك: خلاص. خلاص وقت تاني.

(يعود إلى عرشه فيقومون له)

الملك: لا تقلقا، أنا سأمتحنه لكما وأعرف هل هو نصاب أم صادق؟ وهل هو تربية نعمة أم لا؟

الوزير: إن سألناه لن نفوز بالحقيقة.

الملك: وهل تظن أني سأسأله؟ أنا سأعطيه هذه الجوهرة التي في عمامتي (يخلع الجوهرة ويعرضها عليهم في يده) جدي كان قد اشتراها من تاجر في بـلاد الزنج بألف دينار. وهي أثمن ما فـي كنـوزي وتحفة غالية. فإن عرفها وعرف ثمنهـا يكـون صاحب خير ونعم وإن لم يعرفها كـان نصـابا محدثا، لابد من قتله أشنع قتلة.

الشبندر: أدعو الله إن يكون عدوى من أهل النعم وصاحب قافلة فيها كنوز الأرض كلها. فوالله إن اسـترداد مالي أحسن عندي من قتله، وانتظار القافلة سـنة أهون عندي من قطع الأمل.

(يدخل الخادم)

الخادم: السيد علي جناح التبريزي.

(إشارة من الملك. يخرج الخادم. يدخل على وقفه.

يحييان الملك. يشير إليهما متلطفا. يجلسان)

قفة: (جانبا لعلي) كمين يا سيدي.

الملك: أنت التاجر علي جناح التبريزي

علي: أنا علي جناح التبريزي يا مولاي ولست تـاجرا وإنما أسافر بقافلتي في بلاد الناس للفرجة.

قفة: (جانبا) ستقول للملك القافلة؟

علي: (يقرصه في ذراعه) وهذا تابعي كافور.

الملك: التجار يزعمون أن لهم عندك ستين ألف دينـار. فهل هذا صحيح؟

علي: والله ما أحصي مـا آخـذه أو أنفقـه، ولكـنهم صادقون.. الملك ولم لم تعطهم مالهم؟

علي: يصبرون حتى تصل قافلتي، وأعطـيهم ضـعف ذلك. أن أرادوا ذهبا أعطيتهم، وإن أرادوا فضـة لا خلاف، وإن أرادوا بضاعة وقماشـا لا بـأس. والذي له ألف أعطيه ألفين جزاء ما ستر وجهـي مع الفقراء.

الملك: هم يا علي جناح، خذ هذه الجوهرة، وانظـر مـا جنسها وما قيمتها فإني وجدتها في كنوز جدي ولا

أعرف قيمتها؟. (الجوهرة تنتقل إليه من يـد ليـد حتى تصله. فينظر إليها نظرة واحـدة فيضـعها بجواره على الأرض وبمقبض سيفه يحطمها! قفة يكتم صرخة فزع وينكمش وراء علي)

الملك: (مبهوتا) لأي شيء حطمت الجوهرة؟

علي: يا ملك الزمان، هذه ليست جوهرة، هذا حجـر لا يساوي غير ألف دينار، وفي بـلاد الـزنج آلاف وآلاف مثله وأحسن منه.. ما كان يليق بجـدك أن يضعه في كنوزه، حيث لا يصلح إلا زينة لتـابع من أصغر أتباعه.

الملك: (في غاية القلق) وكيف تكون إذن الجوهرة؟

علي: الجوهرة تكون جوهرة إذا كان ثمنها سبعين ألف دينار وزيادة.

الملك: وما صفة مثل هذه الجوهرة، و ما شكلها؟

علي: تضيء بذاتها كمصباح وهاج، والتي لا تضـيء بذاتها كمصباح وهاج لا تكون لها قيمة عندي ولا أضعها على يدي! كيف تكون ملكا وتقول عن هذا الحجر أنه جوهرة؟!

الملك: (يتنحنح)..

الأميرة: (تمد يدها خاف الستارة وتحرك إصبعها لأبيها) بست. بست. بست...

(يقوم الملك إلى الغرفة الداخلية)

قفة: (جانبا) نهار أسود تشير إلي أنا، سيقتلونني أنا بجريمتك أنت.. حطمت جوهرته، ثم أهنته.

علي: (جانبا) اسكت.

الملك: (كأنه يكلم نفسه) هذا إما لص خطير جدا، وإما هو ابن عم خليفة بغداد نفسه.

الأميرة: زوجه لي. زوجني منه. أتزوجه..

الملك: ماذا قلت؟!

الأميرة: (تبدأ في البكاء) لن أتزوج الوزير، أتزوج التبريزي. أتزوجه.

الملك: الله ! الله ! الله ! ما بقي إلا هذا لتتم مصائبي.

الأميرة: امتحنته وثبت أنه ابن نعمة.. وأنا أحبه..

الملك: تجاوزت كل الحدود !!

الأميرة: سيزوجه الشبندر من ابنته! أعطاه بيته..

الملك : اخرسي، لا شأن لك .. ش!...

(تخرج الأميرة باكية وخلفها جاريتها. يدخل الملك القاعة على عرشه مفكرا)

الملك: وهل عندك أنت جواهر من التي تصفها؟

علي: كثير...

الملك: التي ثمنها سبعون ألفا وزيادة؟

علي: كثير...

الملك : وهل تحمل في قافلتك..؟

علي: مهما طلبت منها أعطيه لك هدية.

الملك: (يتحسس عمامته بحسرة) متى؟

علي: عندما تصل قافلتي بإذن الله..

الملك: (جانبا وهو لا يزال يتحسس عمامته وينظر في عمائم الوزير والتاجر والشبندر) عراني الملعون. وأنا مغفل لأني امتحنته بجوهرتي. (يختطف الجوهرة في عمامة الوزير ويرميها لعلي) ثمن هذه الجوهرة (ثم التاجران يؤخذون ويحالون مد أذرعتهم يستمتع الملك بمصيبتهم)

علي: (ينظر في جوهرة الوزير) خمسمائة دينار.. وهي صنعة فارس.. (يحطمها)

الوزير: (جانبا) صحيح! واأسفاه!

علي: (ينظر في جوهرة الشبندر) سبعمائة. صنعة بلاد الصين.

الشبندر: صدقت ولكن أبقها وحياتك.

علي: كنت أعطيت مثلها لكافور. (يحطمها)

قفة: وأنا رميتها!

علي: (ينظر في جوهرة التاجر) ثلاثمائة. هذه يلهو بها الأطفال في بلاد الشام.. (يحطمها)

التاجر: (للملك) مولاي كنت أحب أن يصيب صديقي الحقيقي ولا يصيبني في جوهرتي.

الملك : (للتاجرين) اذهبا إلى حال سبيلكما، واصبرا على ضيفي، حتى تصل قافلته، ثم تعاليا، وأنا أعوضكما من مالي عن جوهرتيكما وأخلع عليكما أيضا..

(يهم التاجران مهرولين. يتوقفان عند الباب لحظة)

التاجر: (جانبا للشبندر) سيستأثر بالصيد وحده!

الشبندر: قلت لك اصبر ولا تدخل الملك الطماع في

شئوننا..

(يخرجان)

(الماك يدخل حائرا إلى الغرفة الداخلية)

الماك: الحمد لله أن رماه القدر علينا. لا بد أن أستولي على القافلة وحدي، التجار لئام! أسروه بستين ألفا! الثاني أعطاه بيته.. سأزوجه أنا البنت. لا يحصي ما يأخذ أو ما ينفق سأحصي له أنا! سأسحبه في بيت الزوجية. (يطل في الخارج) البنت غضبت. سأبحث عنها وأصالحها (يخرج).

قفة: (جانبا) أمان؟!

علي: (جانبا) أمان؟!

قفة: (بانطلاق) سيد تبريزي أثمن لك هذه الستارة؟! هذا العرش؟ هذا الوزير. (جانبا) يامه! (للوزير) طيبون!

(الوزير ينظر لعلي وقفه شذرا وهما يرمقانه بتحدي)

الوزير: حطمت ثروة!

علي: انظر أيها الوزير المبجل ما فوق إصبعي..

الوزير: لا أرى شيئا..

علي: هذا أصغر جزء من جوهرة الملك.

الوزير: كانت جوهرة!

علي: لا، إن أصغر جزء فيها أثمن منها.

الوزير: لأنه على الأقل الجزء الذي لا ينقسم ولا يتحطم.

علي: إنه مثل قمقم دقيق جدا محكم جدا في جوفه جنى خطير...

الوزير: أعوذ بالله!

علي: وهذا الجني عدة عسكره اثنتان وسبعون قبيلة كل قبيلة عدتها اثنان وسبعون ألفا، وكل واحد من الألف يحكم على ألف مارد وكل مارد يحكم على ألف عون، وكلهم تحت طاعة جني واحد.

قفة: ياه! أرني!

الوزير: ساحر أنت! (جانبا) لعله سحر الملك (لعلي) وهذا الجني كيف يطلق إساره.

علي: بتعويذه صغيرة.

الوزير: طلسم!

علي: نعم مثل ط ر + ط ح = س + ط ح ج

الوزير: هل هذه معادلة رياضية أم تعويذة سحرية؟

علي: هما نفس الشيء.

الوزير: (بخوف) وهل تستطيع أنت؟!

علي: لا، فالأمر يقتضي أن يشتغل سـبعمائه فيلسـوف ورياضي سبعمائة سنة متصلة حتى يصلوا إلـى مفتاح السر فيطلقونه..

قفة: يا سلام! اطلب العلم ولو في الصين.

الوزير: وهذا الجني، أهو طيب أم شرير...

علي: الجني خادم من يطلقه، إن أطلقه في النهاية عالم طيب زرع وحصد وأقام العمائر وشـق الأنهـار وألغى المسافات وعمر الدنيا كلهـا، وإن أطلقـه عالم شرير دمر وأحرق وأباد ومحق..

الوزير: أعوذ بالله! كيف تعرف أنت هذه الأشياء..

علي: انظر في السماء شأن الفلكيين..

قفة: أما أنا فأعرف الأشياء بـالنظر إلـى الأرض... (ينقض على حذاء الوزير) سيد تبريزي أقرأ لـك صفاته، ياه.

الوزير: (يتماص منه) ...

قفة: ده حويط بشكل!

الوزير: كيف عرفت أني حويط؟

قفة: لأنك توثق رباطها بشدة ! قاطع الطريق يسـتطيع أن ينتزع روحك ولا يستطيع أن ينزع نعلك!

الوزير: أف من خسة ألفاظك! أنت إسكافي؟!

قفة: وأنت يا سيدي الوزير، كيف تعرف أنـت هـذه الأشياء؟ (يدخل الملك والأميرة متدللة إلى الغرفة الداخلية)

الملك: سأزوجك منه. ولكن إن اكتشفنا أنه لص..

الأميرة: لا، لا، لا ! مش لص..

الملك: طيب طيب. اصنعي كأنك لا تعرفين أنه بالغرفـة وأنك لا تدخلين لبعض شأنك فـإذا رآك ورأيتـه ادخلي بسرعة. والباقي علي..

الأميرة: أنكسف.

الملك: وفي السوق! أما انكسفت في السوق..

الأميرة: (تهز كتفها متدللة) هه (تدخل. تتصـنع المفاجـأة تقف. تخرج. يدخل الملك يجلـس. يميـل إلـى وزيره)

الملك: (جانبا) أيها الوزير لقد دخلت ابنتي بنوع الخطـأ ورأت هذا الغريب ورآها ولابـد أن يكـون الآن تحت تأثير سحرها فلاطفه وخذ وأعط معه فـي الكلام وفهمه أني أحببته وقبلت أن أزوجه البنت.

الوزير: (جانبا) يا ملك الزمان! إن حال هـذا الرجـل لا يعجبني . وما زلت أظن أنه نصاب وكذاب، فـلا نضيع بنتك بلا شيء.

الملك: (جانبا) يا خائن! أنت لا تريد لي خيرا، واتفقـت مع التجار ضدي، ولأنك خطبت البنـت لنفسـك ورفضتك، وصرت الآن تقطع طريق زواجهـا، ومرادك أنها تبور حتى تأخذها أنت.

الوزير: (جانبا) يا مولاي..

الملك: (جانبا) كيف بالله عليك يكون نصابا أو كذابا مـع أنه عرف ثمن جواهرنا كلها ومن أين اشتريناها؟ وحطمها، لأنها لم تعجبه! وعنده جواهر كثيـرة! ومتى دخل على ابنتي وأعجبته يعطيها جـواهر وذخائر ويضع ثروته تحت مشورتي..

الوزير: (جانبا) سأنفذ ما أمرتني به..

الملك: (جانبا) وعجل...

الوزير: (ينتقل إلى علي وقفه) سيدي، إن مـولاي الملـك لاحظ أن ابنته دخلت هذه الحجرة وهي لا تظـن أنك هنا، ورأتك ورأيتها، وقد أحبك ولـن يبخـل عليك ببنته إذا طلبتها للزواج. فما رأيك؟

قفة: (ينتزع علي بعيدا . جانبا) أنا أيضا رأيتها مثلك، ربما قبلك.. أنا أتزوجها.

علي: (جانبا) ولكن الملك يريد أن يزوجها لي أنا.

قفة: (جانبا) لا أأ. نحن نشتغل برأسمالي أنا. (يلوح له بالدفتر) أنا الذي يتزوجها.

علي: (جانبا) حبا وكرامة. قل للوزير..

قفة: (جانبا بتردد) أنت تقول له..

علي: (جانبا) إن قلت له يقتلني.

قفة: (جانبا) فماذا يفعل معي أنا إن قلت له..

علي: (جانبا) لا أدري..

قفة: (جانبا) لماذا اخترت أنت صفة السيد وتركت لـي صفة التابع؟!

علي: (جانبا) هذا أملته الطبيعة.

قفة: (جانبا) لا أأ ... هنا الخلاف..

علي: (جانبا) اسمع. تزوج جاريتها وهي مليحة.

قفة: (جانبا) إشمعنى..

علي: (جانبا) هذه هي القاعدة، أنا السيد، أتزوج السـيدة وأنت تابعي تتزوج تابعتها.. فـي كـل الكتـب والحواديت والبلاد.

قفة: (جانبا) رأسمالي أنا يا ناس! أنت التابع.

علي: (جانبا) قل هذا للوزير أنت! ولن أخالفك.

قفة: (جانبا) يقتلني! اسمع. تزوجها أنت ونتقاسمها فيما بيننا..

علي: (جانبا) أنت تخاف من ظلك ولا جـرأة لـك إلا علي..

قفة: (جانب) لأني، أعرفك ..

علي: (جانبا) لم تعرفني بعد. اسمع. لن أتزوجها.

قفة: (جانبا) أحسن!

علي: (للوزير بصوت عال) سيدي الوزير، أشكر للملك محبته، وسأتزوج ابنته بكل فخر ولكـن ليصـبر علي مولاي الملك حتى تجيء قافلتي.

قفة: نعم عندما تجيء قافلته!

الملك: (جانبا للوزير) إن انتظرنا القافلة سيسـدد ديونـه ويواصل سفره وفرجته. الآن!

الوزير: (لعلي) مولاي لا يـرى داعيـا للانتظـار.. لـم الانتظار..

علي: (بصوت عال) ذلك أن مهر بنات الملوك كبير ولا يمهرن إلا بما يناسب مقامهن. وأنـا فـي هـذه الساعة ليس عندي مال. فلنصـبر حتـى تصـل قافلتي والخير فيها وفير، فلابد أن أدفع صـداقها خمسة آلاف كيس وأحتاج إلى ألف كيس أفرقهـا على الفقراء والمساكين ليلة الداخلة، وألف كـيس أعطيها للذين يمشون في الزفة، وألف كيس أجهز بها الوليمة للضيوف، وأحتاج إلى مائـة جـوهرة أعطيها لأم العروس صـبيحة العـرس، ومائـة جوهرة أفرقها على الجواري والخدم، كل واحـدة جوهرة تعظيما لمقام العروس.. وأحتاج أن أكسو ألف عريان من الفقراء.. هذا غير الصدقات، وهو شيء لا أستطيعه. إلا إذا وصلت قافلتي، ومتـى

جاءت لا أبالي بهذا المصروف كله، فهو قسم مما بقافلتي..

الملك: (جانبا للوزير) يا دين النبي! هذه هي بغداد التـي نسمع عنها.. بحار من الثروة! كيف تقول عن هذا الرجل أنه نصاب وكذاب. والله لولا طول عشرتي معك كنت طردتك من قصري.

قفة: (جانبا لعلي) يا دين النبي! والله هذا أكثر مما في خزائن بيت المال كلها.

علي: حتى أريحك وأفسد العرس..

قفة: آه! لولا أني أحببتها كنت تركتك تتزوجها..

علي: أفهم ذلك، لا غرابة إن أحببناها سويا..

الوزير: (جانبا للملك) ولولا عشمي فيك يا مولاي كنـت سايرتك ولم أصدقك النصيحة.

الملك: (جانبا للوزير) وحياة رأسي إن لـم تكـف عـن اتهامه لأقتلك! ارجع عما في رأسك ولن تتـزوج من ابنتي..

(لعلي) اسمع يا ولدي. لا تعتذر بهـذه الأعـذار وتقدم مني (يخرج مفاتيح من حزامه) خـذ هـذه

مفاتيح خزينتي وهي ملآنة. افتحها بنفسك وانفـق جميع ما تحتاج إليه وأعط من تشاء مـا تشـاء، وافعل ما تريد ، وأما البنت وأمها، فقد أصـبحتا من أهلك وتصبران حتى تأتي قافلتك، فتكرمهمـا كما تشاء، وأنا أصبر عليك بصداقها حتى تصل القافلة، وليس بيني وبينك فرق..

(الملك لا يزال يمد يده بالمفاتيح، علـي حـائر! ينظر لقفة الذي خرجت عيناه من محجريهما مـن الدهشة. يزغده ليأخذ المفاتيح)

قفة: (جانبا لعلي) خذها . خذها..

علي: قبلت. (يتناول المفاتيح بيديه الاثنتين ويقبـل يـد الملك)

الملك: مبروك عليك .

(الملك يصفق بينما تدق في داخل البيت موسـيقى عربية، ثم تدخل الراقصات)

(ظلام)

بين الفصلين

الجراب

المنظر: على ستارة متوسـطة، القاضـي وخلفـه الحاجـب، وأمامـه عـن يمـين ويسـار الخصمان الجميع مقنعون.

الحاجب: محكمة!

القاضي: في أي شيء جئتما، وعلام تخاصـمتما؟ وأيكمـا المدعي؟

الأول: أيد الله مولانا القاضي، إن هذا الجراب جرابـي، وكل ما فيه متاعي. ضاع مني أمس، فلم أنم ليلي ولا اشتهيت طعاما ولا شرابا حتى وجدته مع هذا الرجل اليوم في السوق.

القاضي: (للثاني) ما قولك؟

الثاني: سيدي، خرجت اليوم للسوق وبرفقتـي خـادمي وحملته هذا الجراب لكي نضع فيه مـا نشـتريه، فإذا بهذا الداعي المعتدي هجم علينا أمام الخلـق، وانتزع الجراب منا وقال هذا جرابي وكل ما فيه متاعي، فقلت: يا معشر النـاس خلصـوني مـن

الظالم فقال الناس: تذهبان إلى القاضي..

القاضي: (للأول) إن كنت تدعي أن الجراب ملكك فصف لنا ما فيه.

الأول: سيدي، في جرابي هذا مرودان من فضة ومكحلة من الذهب ومنديل لليدين، وكنت وضعت فيه شرابتين مذهبتين وشمعدانين، وفيه أيضا ملعقتين وطبق واحد ومخدة، وإبريقين وصنية وطشت وزلعتين ومغرفة وقصعة وامرأة قعيدة أجري عليها، وجبة وبقرة لها عجلين وجملا وناقتين وجاموسة وثورين وسبع وثعلبين ومرتبة وسريرين وقصرا به قاعتين ومطبخا له بابين، وجماعة من أصحابي بابين وجماعة من أصحابي ومرابي يشهدون أن الجراب جرابي.

القاضي: مهما كان الذي تقوله، فلابد أن نسمع خصمك.

الثاني: (مغتاظا) أعز الله مولانا القاضي، أنا ما في جرابي هذا إلا قصر خراب وبيت بلا باب وعشة للكلاب ، وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون الكرة وفيه خيام للعسكر وقصر شداد بن عاد

وكور حداد وشبكة صياد، وبنت حزينـة وألـف فارس من أصحابي، يشهدون الجراب جرابي.

الأول: (يبكي) يا مولاي القاضي، إن جرابـي معـروف وكل ما فيه موصوف، في جرابي هذا حصـون وقلاع، وطيور وسباع ورجال يلعبون الشـطرنج وفي جرابي حجرة ومهران ورمحـان طـويلان وهو مشتمل على نمر وأرنبين ومدينة وقـريتين وأعمى وبصيرين وقسيس وشماسين وقاض مفتح العينين وشاهدين يشهدان أن الجراب جرابي.

القاضي: (للثاني) أعندك ما تضيف أنت؟

الثاني: (يزداد غيظا) أيد الله مولانا القاضـي، أنـا فـي جرابي هذا زرد وصفائح وخزائن سـلاح وفيـه للغنم مراح وبساتين وكروم وأزهار وتين وتفـاح وصور وأشباح وقناني وأقداح وعرائس ومغـاني وأفراح وهـرج وصـياح وأصـدقاء وأحبـاب وأصحاب ومحابيس للعقـاب ونـدماء للشـراب وطنبور ونايات وأعلام وروايات وصبيان وبنات وجوار مغنيات وقداحة وزناد وإرم ذات العمـاد

وخشبة ومسمار ومقدم وركبدار ومائة ألف دينار وإيوان كسرى أنو شروان، وأسـوان وخرسـان، وفيه أيد الله مولاي القاضي ألف موسـي مـاض تذبح أهل البهتان..

القاضي: (يتقدم ليتناول الجراب بفحصه من الخارج) قضية نحس وخصمان زنديقان، هل هذا الجراب بحـر بلا قرار أم هو كوكب جديد سيار.. (يضع يده فيه ويخرج شيئين الواحد بعد الآخر ويعلنهما) كسرة خبز. وزيتونة.

***

الفصل الثاني

بيت التبريزي

المنظر: غرفة داخلية في بيت التبريزي، بها بـاب عن يمين يفضي إلى قاعة بالبيت، وبـاب يفضي نحـو خـارج البيـت عـن يسـار المسرح، وفي الصدر شباك تنسدل فوقـه ستارة. إلى يسار أعلـى المسـرح أريكـة عريضة أمامها ترابيزة صغيرة عليها طبق، في مواجهتها يمين أعلى المسـرح دولاب، وبجوار الشباك قربة ماء ورد معلقة ورف عليه أكواب. وإلى يمين أسـفل المسـرح ساتر عربي، الغرفة مزينة بزخارف الفـن العربي الغني. علي وقفة يواجه كل منهمـا الآخر.

قفة: حاسبني!

علي: حاسبني!

قفة: كم كسبنا من التجار؟ ومن خزائن الملك وخلافه؟ وكم نصيبي مما حصلنا عليه؟

علي: (ساخرا) كم وكم وكم... وهو لا يعرف من واحد

لمائة! أعرف، (يعد على أصابعه) واحد.. اثنين.. ثلاثة.. أربعة.. خمسة.. ستة..

علي: بدأ يعد أصابعه!

قفة: لتعلم أني أستطيع محاسبتك.

علي: حاسبني.

قفة: النصف بالنصف!

علي: موافق، تعال قاسمني عشائي (يرفع الغطاء عـن طبقه)

قفة: (هازئا) عشاؤك!

علي: مد يدك.

قفة: خله لك . عارف ما في طبقك غـذاء أو عشـاء كسرة خبز وزيتونة.

علي: لا تستصغر أول العالم وآخره.

قفة: (هازئا) نعم. نعم. عارف. أوله كسرة خبز وآخره زيتونة.

علي: زيتونة في الأرض تنبت شجرة زيتون.

قفة: لا تنبت شجرة في بطني.

علي: لأن بطنك كأرض المسـتنقع، وعقلـك كـأرض

صخرية.

قفة: يعجبني عقلي.

علي: هذه الزيتونة في بطن عمر الخيام تتحول إلى دم يجري إلى القلب العظيم، فيخفـق بكـل معنـى عظيم! وفي بطن الماجد ابن سينا تتحـول إلـى نسيج عقله الرائع وتلهمه كل فكـر رائـع، أول العالم وآخره أصله ومنتهاه، زيتونة وكسرة خبز، وعليها تقتتل الأمم، ويقوم العمران.

قفة: خل لك أنت هذه المواعظ الكبيرة. كلمنـي عـن الفلوس.

علي: مادمت أحمق.. لك هذا. أطلب ما تريد (يشـرع في الأكل)

قفة: (مندفعا) أريد مائة ألف ألف خمسة وستين دينار ألف. وعشرون ألف مائة ثـوب صـحيح مـن الغالي. حرير. وعشرة آلاف ثلاثين..

علي: عاد يحصي أصابعه.

قفة: حاسبني!

علي: طيب. طيب. لا تغضب.

قفة: وألف خمسمائة عشرين مائة..

علي: كل ما تطلبه.

قفة: (وهو يلهث) وعشر مائتين ألفين سبعين..

علي: لك على هذا كله، ستأخذه وزيادة، عندما تصـل قافلتي.

قفة: (لحظة. ينكر ما سمعه بأذنيه. ينفض رأسه) ماذا سمعتك تقول؟

علي: عندما تصل قافلتي!

قفة: (يدعك أذنيه) تاني..

علي: عندما تصل قافلتي!

قفة: ماذا قلت؟

علي: عندما تصل قافلتي.

قفة: (تستخفه السخرية فيصيح) الله الله! تاني والنبي.

علي: (يغني) عندما تصل قافلتي..

قفة: ما أحلى صوتك الله يفتح عليك ! سمعني والله.

علي: (يرفع صوته بالغناء) عندما تصل قافلتي.

قفة: (يرتمي على الأرض كأنه ذهل من شدة الطرب) اللاااه!

أعد!.. أعد!

علي: (يرفع صوته أكثر) عندما ما ما...

قفة: يا شيخ اللصوص! أتظن أن لك قافلة؟!

علي: ألا تعلم ذلك أنت؟

قفة: (مستنكرا) ألك قافلة صحيح؟

علي: أما تقول لكل الناس؟

قفة: وبعدها.. تقولها لي أنا؟

علي: ألا تصدق؟

قفة: أتعني أن لك قافلة لم تكن على بالي؟

علي: لا أعلم ما في بالك. ولكن نعم لي قافلة.

قفة: نعمة ترفسك! علي أنا؟!

علي: لا تصدقني؟!

قفة: سيطير عقلي المجنون. أنسيت أنك كذاب؟

علي: وأنت أيضا تقول إن لي قافلة.

قفة: أنا كذاب!

علي: لا يستقيم

قفة: ابن كذاب وستين كذاب!

علي: لا يمكن.

قفة: اللي حصل وأمكن. لم لا يمكن؟

علي لأنها قضية منطقية باطلة. فكر فيها بنفسك.

قفة: كيف باطلة؟

علي: أنا كداب جملة نادرة، لأنها مـع كونهـا تبـدو موجبة، فهي في الحق سالبة لأنها تنفي الصـدق عن نفسها. أنت تقول أنا كذاب وتريد أن يصدقك السامع ويسلم أنك كداب، في حين أن الجملة تفيد أنك غير صادق وتدعو السامع ألا يصدقك، يعني السامع يفهم منها أنك غير صـادق فيمـا تقـول ومعناها ألا يصدقك في قولك أنك كداب، يعنـي أنت صادق.. وهكذا: أنا كداب لا يمكن أن تعني أنك صادق، ولا يمكن أن تعني أنك كداب.

قفة: ما معنى هذا؟ إن ما فيش فلوس؟

علي: هذا مسطر في كتاب أرسطاطاليس..

قفة: أرس اه طاطاطا طاليس...

علي: نعم يا صديقي، رجل عظيم، يقف ضدك..

قفة: (هازئا) ضدي أنا؟! طاطاطاليس أنا؟!

علي: نعم هل تعرفه؟

قفة: عمري ما فصلت له نعل.

علي: ومع ذلك فالعالم يعيش على منطقه.

قفة: وأنا عمري ما ذقته.

علي: والعالم يمشي بقوانينه.

قفة: عمري ما لبستها في رجلي.

علي: ويتعلمون ببنات أفكاره.

قفة: عمري ما عشقتهن.

علي: لا يمنع. أنك مهما حاولت، لابد أن تخضع لرأيه.

قفة: عمره ما اشتراني.

علي: وأن تتبع فكره.

قفة: وعمره ما أجرني.

علي: حتى لو كان ضيع قضيتك.

قفة: أنا أعرف من ضيعني.

علي: من ضيعك؟

قفة: تلاتة. أولهم قاض سحب رخصة أخي أبو الفضول الحلاق فصار علي أن أرتب له ما يعيش عليه، وتانيهم أخ كسلان وصايع ومتغطرس اسمه بقبق لابد أن أرتب له هو أيضا

ما يعيش عليه.. هربت منهما وتركت البلد وقعت في الثالثة. والثالثة ثابتة! أنت!

علي: لا لا. الذي أفسد قضـيتك أرسـطاطاليس وهـو رومي.

قفة: حاسبني حتى بالرومي!

علي: يصعب على ألا يكون معي ما يرضيك يا كافور.

قفة: قفة!

علي: ما الذي يرضيك؟

قفة: كنا نهز البلد لأي شيء؟

علي: لتتساقط ثمارها.

قفة: لم تسقط في حجري. كانت تحـت يـدنا ثـروة وزعها المجنون.

علي: افتح دكان إسكافي وأدبر لك الرأسمال.

قفة: أنا أعيش إسكافي، وأنت تعيش عيشة الملوك؟!

علي: أنت تقاسمني..

قفة: عايش ضيف عليك. أريد ثروة في جيبي وأنا حر فيها.

علي: سأعطيك كل ما تطلب عندما..

قفة: أوعى تقول القافلة، بعد أن أصاب المدينـة فـي عقلها، يريد أن يصيبني في عقلي!

علي: اسمع يا كافور، هذه غلطتي وأريد أن أعتذر عنها الحقيقة أنا خبأت عنك شيئا إلى اليوم وأريـد أن أعترف لك به.

قفة: ما هو؟

علي: أن عندي قافلة.

قفة: يا ناس! ده أنا أول من اخترع حكاية القافلة قبـل أن تخطر حتى على بالك..

علي: ولك الفضل.

قفة: عقلي!!

علي: حاسب على عقلك.

قفة: الآن يحذرني من تحت لتحت.

علي: (جانبا) لا أدري ما جرى له.

قفة: جانبا هذا الولد لا ينفع مع غير التهديد والابتزاز. (لعلى) يعني ما فـيش؟! خـلاص؟! طيـب...! طيب ...!
(جانبا) اشرب له كأسين الأول...

(قفة يخرج من باب اليسار وعلي يرقبه)

علي: الولد جن. يشرب. كان الخيام يشـرب ليتسـامى والصوفيون يشربون ليحلقوا.. لم أر في حيـاتي رجلا ككافور يشرب ليزداد رسوبا في الأرض ما الذي يشربه؟ إسفنجنة بالتأكيد! والعجيب أن هـذا الولد الإسكافي لا يؤمن بالفلسفة وبأن العقـل لا يخلق شيئا من لا شيء تماما كما أن الإسكافي لا يصنع نعلا إلا بمادة الجلد. وقد رأى بنفسـه أن هذه القافلة، ولم تصل بعد، صـنع رخـاء فـي المدينة، ملموسا ومحسوسا، وتسببت في صنائع كثيرة يلبس النـاس ملابـس ماديـة، ويـأكلون ويشربون.. كزواج أثمر أجنة حقيقية.. فكيف بالله يصنع اللاشيء شيئا، كيف يتسبب غير الموجود في وجود الموجود بالمادة وتراه العين وتسـمعه الأذن وتلمسه اليد. كل هذا ولم تصل القافلة بعد فما بالك عندما تصل؟ صـدق أو تصـدق! أنـا أصدق، سألحق بأصحابي في القاعة.

(يخرج علي من باب اليمين بينما تدخل الأميـرة

وجاريتها من باب اليسار يوصلان حديثا بدأ من قبل)

الأميرة: ... وساعة أحس أنه غريب، كملك مدينة لم يسمع بها أحد. أو كجني لطيف ولكن في ثياب الناس...

الجارية: اسم النبي حارسك يا ستي.. تخافينه؟

الأميرة: (غير ملقية بالا لجاريتها. تطل من باب اليمين وتعود وتكلم كالمسحورة) لا لا، بل كشيخ زاهد واصل، من أصحاب التصرف والكشف.. لا لا، بل أحس كأنه أمير من أمراء بغداد ولا أعرف نوع قرابته للخليفة نفسه..

الجارية: عجيبة يا ست الستات. لعله لا يتلاون عامدا ليسلب قلبك..

الأميرة: (غير ملقية بالا لجاريتها، وتلقي نظرة للقاعة من باب اليمين وتعود تتكلم كالمسحورة) لا، بل هو شحاذ على باب مدينة عظيمة، إلا أنه كان فيلسوفا وأغضب الملك وهرب في هيئة شحاذ..

الجارية: إن كان لا يتعمد ذلك لك، فبحياتك أنت تحبينه

الحب الصحيح..

الأميرة: (غير ملقية بالا لجاريتها، تلقي نظرة إلى القاعة تواصل الحديث) لا لا، بل كأنه رجل من طينـة أخرى، أو من زمن آخر، أو من أب وأم غير آدم وحواء....

الجارية: اسم الله عليك يا ستي!

الأميرة: لذاك أحبه يا دادة! أحبه في كل ثوب وعلى كـل لون! وأحبه لحرارته وصدقه، للطفه، لعقله، لكل ما فيه.. أحبه.. (يدخل خادم الأميرة يلهث)

الخادم: مولاي الملك يا سيدتي.

الأميرة: (تهم لاستقباله) أبي..

(يدخل الملك والوزير مقنعين بطرفي عباءتيهمـا يسفران عن وجهيهما وترتمي الأميرة في حضن أبيها) اشتقت لك.

الملك: شكرا. شكرا. جئنا في وقت غير مناسب، ونحب أن تكون زيارتنا سرا بيننا، لا أحد يعلم بها، وأن ننفرد...

(الأميرة تصـرف الخـادم والجاريـة بإشـارة

فيخرجان من باب اليسار)

الأميرة: (تتجه إلى القربة لتملأ كوب مـاء لأبيهـا) مـا الحكاية يا أبي! أقلقتني. عمري ما رأيتـك بهـذه الحال. (تقدم له الماء)

الملك: (يشرب أين زوجك؟

الأميرة: (تضع الكوب فوق الترابيزة) مع أصحابه فـي القاعة، يلعبون الشطرنج..

الملك: أيمكن أن يفاجئنا هنا إذا أراد؟

الأميرة: أناديه؟

الملك: لا، في الواقع أريده هو بالذات ألا يعلم بوجودي! هل إذا أغقلنا الباب..؟

الأميرة: نعم! إذا أغلقنا الباب لا يستطيع الدخول إلى هنـا إلا إن فتحنا له. ما السبب؟ خوفتني.

الملك: أغلقي الباب أولا، بالمفتاح.

الأميرة: (تغلق الباب بالمفتاح وتعود بسرعة) أبـي. مـا الحكاية؟ (ثم ترتمي على كتفه باكية)

الملك: لا تخافي. خير.خير. تكلم يا وزير.

الوزير: نريد أن نعرف منك يا مـولاتي: هـل لزوجـك

قافلة؟ الأميرة (تمسح دموعها) ما هذا السؤال؟

الملك: رأيتني بعينيك أعطيه مفاتيح خزنتي. أنفق الكثير في الزواج، نعم نعم، هذا نعرفه، مع أنه لم يدفع لي صداقك بعد، لا أهداك ليلة الدخلة، ولا أهدى أمك صبيحة العرس. كل المـال راح لا أعـرف أين؟! صدقات ومنح وعطايا وأشياء مـن هـذا القبيل، ما علينا. ولكن هذا الولد أفرغ الخزنة من الدرهم والدانق. لا شيء! أفرغ من قلب الخلي. والقافلة نسمع عنها ولا نراها، ومضى وقت..

الوزير: أخذ كل شيء.. كل شيء!

الأميرة: (تشهق) وصداقي؟.

الملك: تبكين علي صداقك؟! وأنا ما أفعل بملكي، كيـف أحكم الناس وقد أصبحت أفقر من رعيتي؟!

الأميرة: لا أعلم إن كنت سأبكي أم سأضحك..

الوزير: لا يطّلع على سر الرجل مثل زوجته.

الملك: المهم أن نعرف..

الوزير: نريد أن نعرف..

الملك: لا بد أن نعرف...

الأميرة: أنا أيضا لا بد أن أعرف

الملك: .. ويتعين ألا يعلم أننا نبحـث وراءه، حتـى لا يغضب. وتكون مصيبة لو أن له قافلـة وسـافر غضبان..

الأميرة: (بحماس) أبي. لعله شحاذ صحيح!

الملك: تضحكين؟!

الوزير: ألاحظت عليه شيئا يدعوك لهذا الظن؟

الأميرة: (بحماس) أو لعله من بغداد أو ملك من السـماء أتى ليختبر أخلاقنا...

الملك: مفتش؟!

الوزير: ألاحظت عليه شيئا يدعوك لهذا الظن؟

الأميرة: (في غاية الانفعال) استولت علي نشوة عجيبـة، ومع ذلك تنهمر دموعي. لا أعـرف هـل أنـا فرحانة أم حزينة، ولا أفهم ما جرى لي..

الوزير: اهدئي يا مولاتي.

الملك: ما الأمر؟ هل سحرها؟!

الوزير: أعطنا بالك يا مولاتي. نحن في مأزق...

الملك: احنا في مصيبة!

الوزير: ولا يستطيع غيرك أن..

الملك: أنقذينا!

الأميرة: ماذا أقدر أن أفعل؟

الوزير: سنختبئ أنا ومولاي في أي مكان.. (يتلفت حوله) خلف هذه الستارة وتناديه أنـت، تلطفـي معـه واسأليه...

الملك: (جانبا للوزير) لم لا نذهب لبيوتنا ونـدع البنـت تسأله؟

الوزير: (جانبا للملك) لست متأكدا إنها لم تحبه، وقد تـود إخفاء الحقيقة عنا.

الملك: ما قولك؟ وعلام تضحكين؟

الأميرة: أتصوركما خلف الستارة؟

الملك: اسخري من حالك.. هيا يا وزير..

الوزير: قولي له..

الأميرة: لا تعلمني ما أقول...

(يختبئ الملك والوزير خلف الستار بينمـا تفـتح الأميرة لباب وتنادي على بإشارة من إصبعها)

الأميرة: بست! بست! بست!.. (تجلـس علـى الأريكـة

جانبا) أيمكن أن ...؟!

(يدخل علي، وتمد له ذراعيها)

أوحشتني يا نور عيني..

علي: (في ذراعيها) وأنا اشتقت لعينيك.

الأميرة: أنسيتني أمي وأبي، ولو أمرتني تبعتـك حافيـة القدمين إلى آخر الدنيا..

علي: أحبك حافية...

الأميرة: وأنا كنت سأحبك حتى لو كنت شحاذا تمد يـدك تحت قصر أبي. بدل الدينار كنت سـأرمي لـك منديلي...

علي: وأنا أرفع عيني لشباكك أشحذ نظرة.

الأميرة: الآن صرت زوجي ولن أفرط فيك مهما يتقولون عليك.

علي: دعيهم يقولون..

الأميرة: لا.أنا خائفة..

علي: يقولون إني لا أحبك؟

الأميرة: يقولون إنك فقير وليس عندك قافلة؟! أنا خائفة

علي: مما تخافين يا حبيبتي.

الأميرة: من التجار. من أبي. من حسادك..

علي: لا تخافي.

الأميرة: إذا كنت فقيرا يا حبيبي فلا تخف ذلك عني، أنا زوجتك، حتى أدبر تلك تدبيرا ينجيك وينجيني مما يهددنا.. لا تحمل هما وقل لي..

علي: (يمسح الغرفة بنظرة مترددة) لا أريد أن أخفي عنك شيئا. نعم يا سيدتي. أعترف لك أني كنت في بلادي شحاذا. ومرة ساقني القضاء والقدر إلى دار عالية ذات طوابق طرقت بابها. (يشرع في التمثيل والأميرة مستمتعة) وسمعت صاحب الدار يسأل من أعلى طابق: " من هذا؟" فلم أكلمه. فنزل وفتح لي الباب فقال لي: " ماذا تريد؟" قلت: "شيئا لله" قال: " ادخل واتبعني" ولم يزل يصعد من سلم إلى سلم وأنا ألهث وراءه حتى وصل إلى أعلى سطح وسألني: " لم لم تجبني حين سألتك من بالباب؟ " قلت: " خشيت أن تستكثر النزول وتصرفني"

قال: " حسنا فعلت" وبعصا الغسيل (يسحب سيفه

ويمسك بنصله) نزل علي (يضرب بسـيفه فـي الهواء وفوق الأشياء حتـى يصـيب مـن وراء الستار) وهو يقول " خذ لله يا أسفل السفلة! خـذ لله"

الملك: (من خلف الستار) أم!

الأميرة: (تشهق ويدها على فمها)

علي: كل شيء فيه روح! حتى الستائر تتألم (يعيد سيفه لغمده) وتتألمين لها يا حبيبتي. أحبك لرقة قلبـك. لإيمانك بأن كل شيء فيه حيـاة، وهـي عقيـدة أستاذنا الخيام اعتنقتها وأنا صبي صغير.. بعض الناس يعتقدون أن الإنسان نفسـه لا يتـألم مـن الضرب.. إذا سمحت سيدتي عدت لأصـحابي، أكمل دور الشطرنج.. (يخرج وهو يلوح لهـا.. بينما يظهر الملك والوزير من خلف الستارة وكل منها وضع يده على موضع من جسمه والأميـرة تكتم ضحكاتها)

الملك: آي يا ..! كادت تنفلـت منـي صـرخة فـيعلم بوجودنا. الحمد لله كتمتها. لا أريده أن يغضـب.

تبقى مصيبة لو عنده قافلة وغضب مني. آه ياني آه!

الأميرة: سلامتك يا أبي. أنت أردتنـي أسـأله وسـمعت الجواب..

الملك: كان يهرف بأي شيء يا وزير؟

الوزير: سمعت مثالك ولم أتبين جده من هزله.

الأميرة: (بحماس) هو مسلٍ جدا يا أبي.

الملك: مسلٍ في عينك! أنا ضربت هنا من زوجك!

الأميرة: لا تغضب يا أبي. هذا تدبير وزيرك.

الملك: (للوزير) والعمل؟

الوزير: تتكرم الأميرة وتسأله ثانيا.

الملك: لا لا، أنا استويت..

الأميرة: سلامتك يا أبي.

الملك: كله منك!

الوزير: لا تنزعج يا مولاي. نختبئ خلف الأريكة أكثـر أمانا.

الملك: (جانبا للوزير) ما نروح إحنا لحالنا وهي تسأله..

الوزير: (جانبا للملك) رأيت بنفسـك كيـف يتطارحـان

الغرام.

الملك: (جانبا للوزير) البنت تحبه بصدق؟ يعني هل شعرت بالغيرة من قلبك؟ .. (الوزير لا يرد) تبقى مصيبة ثانية. (يصيح) وثالثة الأثافي أنني أصبحت أفقر من رعيتي! (يشير للوزير إلى الأريكة) تفضل..

الوزير: لا تخافي، أنا سأضع جسمي في الموضع الأبرز حتى أتلقى عن مولاي أذي

(يختبئ الملك والوزير بين الأريكة والحائط وتذهب الأميرة لباب اليمين تدعو علي بإشارة من إصبعها)

الأميرة: بست! بست! بست!...

(تجلس على وسادة فوق الأرض عن يمين الشباك وتنتظر) (جانبا) شيء لا يدخل العقل. أيمكن أن... (يدخل علي.. يتوجه إليها ببشاشة)

علي: كاد يغلبني أصحابي. ما الأمر يا حبة قلبي؟

الأميرة: خرجت متعجلا ولا تدري شوقي لحديثك لا أوحشني الله منك ولا فرق الزمان بين وبينك فإن

محبتك ملكت فؤادي، ونـار غرامـك أحرقـت كبدي..

الأميرة: وكنت من خوفي يا حبيبي سـألتك سـؤالا ومـا أجبتني إلا بفكاهاتك العذبة.

علي: أحبك وأنت تضحكين .. أحبك وأنت تعبسين..

الأميرة: أريدك الآن أن تعرفني بالصدق حتى أدبر لك ما يحميك، فإني أخاف عليك من أعدائك. يا حبيبي: أنت غني أم فقير؟

علي: (يمثل والأميرة تستخفها المتعة) سيدتي. أنا فقير. أعترف أني كنت سقاء فـي إحـدى الحـارات البرانية ببلادي.. أسقي بالكوز. وكنت أمشي تحت ثقل قربتي طول النهار فلا أربح في يوم أكثر من درهم. وأقف في الحر اللافح أصيح على المارة: " يا معوض! ما شراب إلا من زبيب، ولا وصال إلا من حبيب، ولا يجلس في الصدر إلا لبيـب!" فتقدم لي مرة رجل عجمـي وقـال: " اسـقني!" فملأت له الكوز وأعطيته فنظر فيه ثـم خضـه وكبه وقال: " اسقني!" فملأت له الكوز وأعطيته

فنظر فيه وخضه وكبه علـى الأرض وقـال: " اسقني!" فملأته وأخذه وخضـه وكبـه وقـال: " اسقني!" فما هانت علي نفسي. رفعت القربة فوق رأسي (يرفع القربة المعلقـة بجـوار الشـباك) وخضضتها وكببتهـا علـى أم رأسـه. (يكبهـا ويرميها وراء الأريكة)

الملك: (من خلف الأريكة) أم!

الأميرة: (تشهق ويدها على فمها)

علي: يا حلوة المشاعر. خفت على الأريكة لأنك تعلمين يا رقيقة أن فيها روحا على عقيدة الخيام! لـذلك أحبك وأستأذنك ساعة أكمل فيها دور الشـطرنج مع صاحبي.. يا حلوة!

(يخرج علي بينما يظهر الملك والوزير غـارقين في الماء والملك يده على ضلوع ظهره يتوجع)

الملك: آه آه يا ضلوع ظهري! أنت يا بنت قربتكم حلقها جبس؟

الأميرة: خشب يا أبي.؟

الملك: خشب جرانيت؟!

الأميرة: سلامتك يا أبي؟

الملك: كان يهرف بأي شيء يا وزير؟

الوزير: والله.. سمعته.. ولم أفهم بعد..

الملك: أنت اللي وضعت جسمك في المكان الأبرز لتتلقى عني الأذى؟! آه يا ضلوع ظهري!

الوزير: فعلت يا مولاي ولكنه كان كمن يصوب عليك ولا يزال يخلط الهزل با..

الملك: تدبيرك يا وزير..

الوزير: لو صبرنا..

الملك: أصبر؟! وهل أصابك حلق القربة أنت في ضلوعك؟

الوزير: مرة أخيرة.

الملك: ستروح روحي في هذه المرة الأخيرة!

الوزير: أن نتحصن داخل الدولاب حتى لا يستطيع أن يصيبنا بشيء..

الأميرة: الدولاب؟

الملك: (للأميرة) ألا يتكلم جد أبدا هذا الولد؟

الأميرة: سأبذل جهدي.. إذا أردت يا أبي..

الملك: ما هذا الذي نحن فيه؟! أمرنا لله. آخر مرة! مـا هذا الذي وقعنا فيه؟!

(يختبئ الملك والوزير في الـدولاب، والأميـرة تدعو على من باب اليمين بإشارة من يدها)

الأميرة: بست! بست! بست!

(تجلس على وسادة تحت الأريكة)

(جانبا) والله أخشى أنه يسمع وهو في القاعة مع أصحابه كل ما يدور بيننا هنـا. ولا أسـتبعد أن يكون جنيا ظريفا رماه القدر ليأخـذ نقـود أبـي ويرميها للناس (تكتم ضحكاتها)

(يدخل علي. يتجه إليها مرحا)

علي: أعترف يا سيدتي أني كنت سـيافا علـى بـاب الوزير ظافر بهرام نفسه. (يشـهرن فتنـزعج) وكان قلبي رقيقا ولكن أكل العيش مر. أقف هكذا على الباب وكل ساعة يصيح وهو يشير إلى أحد الناس: " خذ رقبته!" فأغمض عيني وتدور رأسي وأدور أخبط بسيفي كيفما اتفق وهو يضحك مني (يلوح بالسيف ناحية الدولاب فتصرخ) تخشـين

على الدولاب يا حبيبة. الآن أعلم أني أحبك لرقة مشاعرك ولعلمك أنه حتى الخشب فيه روح. وقد كدت أغاب أصحابي فاسمحي لي يا سيدة فؤادي أن أمضي لأنهى الدور..

(يخرج مسرعا. يفتح الدولاب ويخرج منه الملك ممسكا سرواله ومن خلفه الوزير)

الملك: الحمام! الحمام!

الأميرة: سلامتك يا أبي!

الملك: جئت لنا بداهية الله يجازيك. الحمام!

الأميرة: من هنا يا أبي.

الوزير: ياما نصحتك يا مولاي..

الملك: ولا كلمة! لا تزد همي وغمي.. الحمام يا بنـت!

(يخرج ثلاثتهم مسرعين. بعد لحظة يدخلان قفـة يترنح. يظلل عينيه بيده. يمسح الغرفة بناظريـه، ثم يتقدم إلى الداخل)

قفة: لمحت الملك بنفسه يتسال من هذه الغرفة، وخلفه ابنته والوزير، كان الملك كأنه يجري من غيـر حشمة. والله ما جاء هكذا إلا لأمـر. ولابـد أن

الشك بدأ يخايله. ولن أفوز بحقي من هذا السـيد الجبار إلا بتهديده بإبلاغ الملك. سـأبحث عنـه وأخوفه. ها.. سأجعله يعطيني كل شيء ويقبـل يدي بعدها.. كل شيء حتى البنت.. أيـن هـو؟ (يظلل عينيه بكفه ويمسح الغرفة بناظريه) لـيس هنا.. (يخرج من جيبه دمية قفـاز علـى هيئـة الأراجوز يحركها ويتكلم بصـوت الأراجـوز) تبرررريزي! (يقلد صوت التبريزي) ماذا تريد يا كافور؟ (بصوت الأراجوز) اسمي قفة. (بصوت التبريزي) لا اسمك كافور. بصوت الأرجواز! لأ قفة! لأ كافور. لأ قفة.. طيـب خـد (يضـرب الدمية) آه أنت بتضربني؟!

طيب!.. (يضحك) سأجننه إن شاء الله. أين هـو؟ سأبحث عنه.. (بصوت الأراجوز) يا تبريزي!

(يخرج قفة من باب اليمـين وتـدخل الأميـرة وجاريتها من باب اليسار)

الأميرة: (مرحة منفعلة) سأقول لك سرا خطيرا جـدا يـا دادة. ولكن اقسمي لي أنك لن تبوحي بـه حتـى

وأنت توصين أولادك على فراش الموت.

الجارية: بسم الله الرحمن الرحيم. خير يا ستي.

الأميرة: احلفي!

الجارية: وحياة رأسك يا ستي سرك في بير. لا أبوح به ولو سلموني للجلاد.

الأميرة: (بانفعال ونشوة) زوجي هذا على جناح التبريزي ليس غنيا!

الجارية: ما هذا الكلام يا ستي. إن عطاياه عطايا ملوك.

الأميرة: (بمنتهى السرور) لا لا لا. إنه يتظاهر فقط بأنه غني.

الجارية: يا مصيبتي! والقافلة؟!

الأميرة: (تضحك في نشوة طفولية عالية) ليس عنده قافلة!

الجارية: يا داهيتي! وفلوس أبيك! وفلوس التجار؟!

الأميرة: (في قمة النشوة) لن ينالوا دانقا!

الجارية: يا خرابي! إن عرفوا..

الأميرة: لن يعرفوا! أنا سمعت مثلما سمعوا، فهمت وهم لم يفهموا لأنهم أفلسوا وعندهم أمل وسيتعلقون بالأمل إلى ما شاء الله. (تنفجر ضاحكة) فهو خير

عندهم من قطع الأمل.

الجارية: أخاف أن يؤذوه يا ستي.

الأميرة: لن يقبلوا مواجهة فجيعتهم وقطع الأمل.

الجارية: عجيبة! هذا والله أغرب مما في الحواديت.

الأميرة: قلت لك. كما في الحواديت. أحلى من الحواديت.

الجارية: حادثة عجيبة وحكاية مطربة غريبة. سيؤرخونها يا ستي في الكتب ويرويها الشاعر في القهوة.

الأميرة: (بلهفة) ويذكر اسمي في الحكاية يا دادة؟

الجارية: اسمك واسم أبيك واسم..

الأميرة: (بقلق. تجلس على الأريكة) أخشى أن يسـميني الأميرة وينسى اسمي الحقيقي..

الجارية: لا لا لا. الشاعر يذكر الأسماء كلها. هـذه هـي الأصول.

الأميرة: (تتمرغ بنشوة فوق الأريكة) واسم حبيبي..

الجارية: أسمع صوتا..

الأميرة: (محذرة) شش! ش!

(ترتمي الأميرة في حضـن جاريتهـا تضـحك. يدخل قفة يترنح. ترقبانه بانزعاج)

قفة: (يظلل عينيه بكفه ويمسح الغرفة بناظريه حتـى يراهما. جانبا) هذا هو السيد. الآن أهدده. كنـت اسكافيا. صعلوكا ولا أمل لي في عشاء يـومي ولا أغتاظ. الآن أتمرغ في نعيم هـذا القصـر كالسادة ومغتاظ. ولا درهم في جيبي. لابـد أن أكون أكبر كبراء هذا البلد وإلا فلا. (يصيح) يـا تبريزي. (يعود يظلل عينيه ويبحث بناظريه عن السيدتين المنزعجتين ويشير إليهما بإصبعه) أنت يا سيد..

الجارية: (تدق صدرها) يا مصيبتي! سكران!

قفة: (يدعك أذنيه حائرا) يظهر أن هذه هـي السـيدة (يعود يظلل عينيه ويقترب منهما فتصرخان) آه. هذه هي السيدة وجاريتها. ما علينـا.وادي قعـدة (يقعد على الأرض)

الأميرة: اخرج يا كافور ماذا تفعل هنا.

قفة: حتى السيدة لا تناديني باسمي. واقف!

الأميرة: ماذا تريد؟.

قفة: حقي؟! جئت أطلب من السيد حقي!

الأميرة: اذهب له في القاعة.

قفة: لا.أنا حقي هنا. وأقف أحرسه حتى يأتي السيد.

الأميرة: ما هو حقك الذي تحرسه هنا؟

قفة: نصفك! (يضحك بعربدة)....

(الأميرة وجاريتها مذعورتين الأولى تخرج مـن باب اليمين والثانية من باب اليسار)

قفة: (أفاق من استغراقه في الضـحك) أيـن ذهبتـا؟ (يظلل عينيه ويبحث عنهما اختبأتـا؟ أخـاف أن تكون ذهبتا تطلبان النجدة. سأختبئ خلف الساتر. يا ساتر. أين هو؟

(يلتمس طريقة إلى الساتر ويختبئ خلفـه تـدخل الأميرة وعلي)

الأميرة: كان هنا. خاطبني بلسان بذيء. لابد من قتله قتله. قتله.

قفة: (من مخبئه. جانبا) يا نهار أسود.

علي: لا تخافي يا حبيبتي.

الأميرة: أهذا الذي تقول عنه أنه أخوك وأكثر من أخيك؟

علي: لا حيلة لي في ذلك. لعله ذهب. اهدئي.

الأميرة: (تبكي) كنت طيبة معه لأجل خاطرك

علي: (يلاطفها) لا تجزعي يا حبيبتي.

قفة: (يبرز الأراجوز من خلف الساتر وبصوته) نحن هنا!

(الأميرة تذهل، ثم تضحك)

علي: ماذا تفعل يا كافور.

قفة: (بصوت الأراجوز) أتعشى خبز وزيتون.

علي: اخرج يا كافور.

قفة: (بصوت الأراجوز) يا سيدي أنا صغرت. اديني ربع حقي.

(على يقذف الأراجوز بوسادة فيسقط قفة على الأرض)

قفة: آه يا دماغي!

الأميرة: كافور! هل أنت غاضب من شيء؟

قفة: حلوة دي!

الأميرة: هل أنت أغضبته يا علي؟

علي: ماذا تريد؟

قفة: أريد أن أعرف كيف بدأ كل شيء. كيف وقعت

أنا في هذا المأزق؟

علي: ألا تذكر؟ أنت ناديتني.

قفة: أنا؟!

علي: نعم. من خلف باب البستان قلت: أليس في هـذه المدينة رجل مضياف يضيف إسكافيا تعبت قدماه في طلب الرزق ويتألم؟ أنا سألت: من بالبـاب؟ فوجدتك أمامي.

قفة: دخلت برجلي في الشرك.

علي: لا تكن جاحدا يا كافور.

قفة: لم؟ أخذت شيئًا أنا في هذا المولد؟ لا شيء! كلـه كسفرة البستان وحياتك..

علي: وماذا تريد؟!

قفة: أريد أن تعينني ملكا على هذه المدينة! هه!

علي: أنت إسكافي. ما علمك بوظيفة الملك؟

قفة: طيب شبندر. ما هو يا ملك يا شـبندر؟! أميـر. عينني أمير. كثير على أمير؟!

الأميرة: كيف يعينك أميرا يا كافور؟ كيف يصنع ليعينـك أميرا؟ إنه لا يملك ليفعل.

قفة: يسميني علي جناح التبريزي. محمد جناح التبريزي.. حسن جناح الأصفهاني.. زي بعضه.

علي: سم نفسك ما شئت. ما دخلي أنا.

قفة: لا تسمني كافور. أنت سميتني كافور.

علي: أهذا ما تريد..

قفة: لا.

علي: ماذا تريد؟

قفة: اسكر

علي: حاذر ألا يهلكك السكر.

قفة: (جانبا) عاد يهددني من تحت لتحت، يتظاهر بالثبات.

(لعلي) أخل لي الطريق إلى الخمارة يا سيدي..

علي: طريقك أمامك.

قفة: أضئ لي الطريق يا سيدي.

علي: تعال. (ينزل قنديلا معلقا ويخرج أمامه)

الأميرة: لا تدعه يشرب أكثر مما شرب! يا مسكين يا كافور.

(ظلام)

السوق في الليل

المنظر: (السوق خال. في الليل. قفة وحده)

قفة: الليل لم ينتصف بعد، والخمامير أغلقت. ما لحقنا نشرب غير كاسين تلاتة. ما هذه البلد؟ أين نحن من بغداد؟! أحبك يا بلد الرشيد يا منـورة فـي الليل. ما الذي رمانا هنا؟ آه! الحصان الطـائر. رخ التبريزي بن السندباد. سيدي وتاج رأسـي. سيدي برأسمالي. صاحب الولائم العظيمة. (يرفع دمية القفاز الأراجوز) " بربك كل من هذا الكباب الذي ليس مثله على الموائد المملوك" (بصـوته) وإلا نبيذ الخيام!! (يضحك في عربدة) (بصـوت الأراجوز) " اشرب ولا تقتصد" (بصـوته) حلـم مخيف، وأنا تبعته كالنائم من بغداد للصين! أيـن شطار وفتيان العراق ومهرة العجم؟!

إذا كان نوم الملك نفسه.. والـوزير والشـبندر والأميرة .. لا ينوم قفة؟! ولكن لابد من صـحو! اصح يا قفة! (يضرب نفسه) اصح بقى. حتنـام شهرين؟! وإلا الشبندر!!

(يضحك معربدا) راحت فلوسه على داير الدانق، وبيته. أصبح لا شيء وعنده أمل ابن المجانين.. ولا يزال.. (يضحك) القاقاقافلة! اصح يا شبندر! التجار. قم اتعشى. لعلك جعت بعد أن أفلسـت. تعال إلى مائدتي فعليها الكباب الذي لـيس مثلـه على موائد الملـوك. وإلا القطـايف بـالعنبر!! (بصوت الأراجوز) " خذ من يـدي ولا تردهـا" (بصوته) كل ولا تقصد فسأجعلك تهضـم بنبيـذ (يخفض صوته كأنه يهمس بأمر خطير) (بصوت الأراجوز) " مسروق من حاصل عمـر الخيـام نفسه!"

يدخل الشرطي (يقف جانبا يرقبه مترددا)

الشرطي: (جانبا) مجنون أم سكران؟

قفة: اصح يا تبريزي! تعال كل.. أكلت الناس، أنا لا إسكافي لا. لابد أن أكون أغنى أغنياء البلد أنـا، وإلا أخربها.

الشرطي: (جانبا) سكران أم مجنون؟

قفة: يااااه. البلد زاطت يا ولاد وكل حي فتح دكانـا..

وأنا لأ. مع أن أصل اللعبة كلها رأسمالي أنـا!!
النوتة..الذمامات (يبحث عن ملابسه)

الشرطي: (جانبا) أخافه، ولكن في دركي أنا وإذا اسـتيقظ الناس ينهالون علي بالشكاوي والسباب..

قفة: لا أجدها. مش مهم جيوبي الأربعة تشهد أنه كله برأسمالي. لابد أخربها وأطربقها على دماغك يا تبريزي. (يصيح) تبريزي (يرفع يده بـالأراجوز وبصوتالأراجوز) تبرررريـزي! (ويضـحك)...
(تقدم منه الشرطي فاصطدم قفة به ووقع علـى الأرض. يدقق النظر في حذائه عن قرب جـدا. بصوته) من أنت؟ آه.. أنت الأرسطاطاطاطاليس الذي يقف ضدي؟!

الشرطي: (جانبا وهو يرتعش) مجنون والله!

قفة: (مواصلا تخمينه).... لا لا. أنت الجني المحبوس في الجزء الذي لا ينقسم من جوهرة الماك، وكل من يطلقك تخدمه؟!

الشرطي: (بخوف) نهار زي بعضه!

قفة: (يمعن في قراءة نعله) لا لا لا. أنـت الشـرطي

المكاف بحراسة الناس وهم نيام. عرفتك. تعـالي بقى نخربها معا. (قفز واقفا يجذبـه مـن يـده ليخرج) خذني إلى رئيسك فعندي اعتراف خطير سينقله الليلة ذاتها إلى الملك نفسه وستكون لـك البشرى.. (يرفع الدمية. وبصـوت الأراجـوز) بسررررعة!

(يخرجان)

(ظلام)

السوق في الفجر

المنظر: السوق.في يسار أعلى المسرح أقيم عارضان بينهما على مربوط من رسغيه بحبل فيهما. الجلاد قاعد على الأرض نائم. وسيفه على ركبتيه. وحول المسرح بعض عساكر الحرس. يدخل قفة، ثم ينزع نفسه خارجا كمن لا يطيق النظر لصديقه في محنته، ثم يعود يدخل ويقف حائرا..

علي: كافور؟

قفة: قفة يا سيد. تذكر أرجوك.

علي: خرجت من البيت أمس ولم تتعش. أين تعشيت.؟

قفة: (متأثر جدا) عند الملك يا سيد.

علي: ماذا عشاك؟

قفة: تلاتين درهم يا سيد.

علي: وأكلت الدراهم؟

قفة: لا. وشيت بك وهذا كان ثمنك.

علي: تلاتين فقط؟

قفة: (محتجا) أخذوا يقولون لي أنت ياما أخذت وأكلت وشربت ولبست، وأحمد الله.

علي: ولم تتعش؟

قفة: صعبان علي يا سيد إن وشيت بك، بعتك وتسببت في موتك.

علي: كافور. أما كنت تتهمني دائما بأني لا أقاسمك؟

قفة: لا تذكّرني يا سيد.

علي: أما طلبت من الملك أن تأخذ حقك وتقاسمني مصيري؟

قفة: (منفعلا) سيدي. اشتمني. ابصق في وجهي ولكن بلاش الكلام الموجع ده.

علي: لماذا أشتمك؟

قفة: لأني تسببت في قتلك.

علي: لست أنت بالضبط.

قفة: بل أنا وكنت سكران سفنجة!

علي: لا. هم الذين قرروا قطع الأمل.

قفة: لكني أنا الذي قلت لهم. وأرسلوا يوقظون الوزير والشبندر في نص الليل. وحققوا معي

وسألوني س و ج. س و ج. س و ج. وحكيت لهم الحكاية من أول بالكلمة وبالحرف. منذ أن تغدينا في قصرك ببغداد.

علي: (مذكرا إياه) وسكرنا.

قفة: وسكرنا.

علي: ورويت لهم أنك دخت من كأسين؟

قفة: الملك دهش جدا.

علي: من أي شيء؟

قفة: من أنني سكرت.

علي: والله لو كان هو اللي ذاق خمرتي ببغداد لكان داخ من كأس واحدة.

قفة: عجيبة! أكل من شربها سكر؟!

علي: أين الصناع يا كافور؟ هذا وقت خروجهم ولم يخرجوا بعد؟

قفة: ألا ترى العسكر؟ اليوم يلزم الصناع والفقـراء بيوتهم بأمر الملك. لأنهم أحبوك.

علي: ولكنك أنت تتجول كما تشاء يا كافور؟

قفة: أن الذي بعثك، وهم يضحكون في وجهي فـي

كل مكان.

علي: اسمع يا كافور. أريد أن تؤدي لي خدمة؟.

قفة: أؤمر يا سيد.علي بعض المهام.

قفة: تحت أمرك. قل.

علي: اذهب إلى النحات واجعله يصنع لي قبة مـن المرمر..

قفة: قبة من المرمر...

علي: منقوشة وغالية. تليق.

قفة: سأتأكد من بهائها بنفسي.

علي: ثم مل إلى الخطاط...

قفة: الخطاط..

علي: واجعله يكتب على القبة بماء الذهب..

قفة: ماذا يكتب؟

علي: يكتب: "زيتونة واحدة تنبت شجرة زيتون"..

قفة: زيتونة واحدة.. (يبحث في جيوبه) انتظر حتى أكتبها يا سيدي ولا أنساها.. أهـه! (يخـرج الدفتر ويقلب فيه. يقلب النظر بين الدفتر وعلى مترددا، ثم يحزم أمره) والحساب يا سيد؟ هذا

الحساب.. الثلاثمائة دينـار ودينـارين وكـم نصفا؟ ... إن كنت تذكر.. الحساب؟

علي: اكتب أولا.

قفة: (يكتب) زيتونة واحدة...

علي: ثم مل على القاضي

قفة: القاضي.

علي: واجعله يأتي بصحبة شاهدين..

قفة: وشاهدين. لماذا تريد القاضي وشاهدين يا سيد؟

علي: لأوصي...

قفة: بأي شيء يا مسكين؟ جردوك من كل شيء.

علي: أخشى أن أقول لك فتغضب

قفة: لا شيء يغضبني منك الآن يا صديقي.

علي: احلف ألا تغضب وأقول لك.

قفة: والله العظيم لا أغضب. قل لي.

علي: لأوصي بمالي الذي في القافلة.

قفة: (يذهل، ثم يدور حول نفسه. يضرب دماغـه بقبضته) الولد ده جنني خلاص. يا دين النبي.

علي: ها أنت غضبت.

قفة: (يقاوم نفسه) لا لا. لن أغضب.

علي: اذهب وافعل ما قلت لك.

قفة: ذاهب..

(يخرج بسرعة، ثم يعود يدخل ببطء وهو متأثر)

صعبان علي أتركك وأنت في هذه الحالة يا سيد.. أنت حزين مثلي؟

علي: نعم.

قفة: صعبان عليك نفسك؟

علي: لا. صعبان علي أنهم يقتلون أمك يا مسكين..

قفة: آه من اللي سيجري لي. سأعيش طول حياتي أندم. لابد من حل. والله أحببته هذا السيد. أحببته جدا. ما الحل؟ ما الحل؟

(يخرج وتدخل الأميرة وجاريتها. ما إن تدخل حتى تدير ظهرها لعلي)

الأميرة: كلميه أنت يا دادة فلا أطيق النظر إليه وهو في هذه الحالة.

الجارية: ماذا أقول له؟

الأميرة: اسأليه عن شعوره. هل هو حزين؟

علي: لم أطلب من أحد شيئا. هم أعطوني باختيارهم.

الأميرة: (تبكي) هذه مزحة! سأذهب إلى أبي وأطلب إليه أن توقف هذه المزحة. كيف يقتلون زوجي بدون إذني؟!

علي: ذكريه أنه أعطاني مفاتيح خزنته باختياره.

الأميرة: أبرأتك من صداقي يا حبيبي وهدية دخلتي.

علي: وأنا أنتظر القاضي لأوصي لك بنصيب من المال الذي في القافلة.

الجارية: (جانبا للأميرة) أنت ما تبتش؟!

الأميرة: نعم نعم. لا شك أن كل شيء في الدنيا فيه روح ويتألم، وأن الجزء الذي لا ينقسم من كل شيء ما هو إلا قمقم صغير فيه جني خطير وأن علي جناح التبريزي عنده قافلة!

الجارية: (جانبا للأميرة) اسم الله على عقلك يا ستي.

الأميرة: صحيح. إلا أننا عقلنا ضيق ولا نفهم. (تواجه علي) أنا أصدقك يا حبيبي.

علي: هذا يجعل لكل شيء معنى.

الجارية: (جانبا للأميرة) أما قلت لي بنفسك أمس إنـه فقير.

الأميرة: نعم. كان ذلك أمس. اليوم يختلـف. فليسـتول الخيال على هذه المدينة مرة!

الجارية: (جانبا للأميرة) الخيال عندي غير الحقيقة.

الأميرة: لأنك غبية. كأبي. سأذهب له. سأصرخ لـه.. (تخرج وخلفها الجارية. تكاد تصطدم بالشبندر والتاجر وهما داخلان)

الشبندر: (جانبا للتاجر) أترى أن الأحسن لنا أن نقطـع خيط أملنا الضعيف في استرداد نقودنـا بقتـل هذا الرجل لمجرد الانتقام؟

التاجر: (بحزم) نعم.

الشبندر: ألا يحتمل يا صاحبي..

التاجر: (يقاطعه بحزم) لا يحتمـل.. تأكـدنا وانتهـى الأمر.

الشبندر: ألا يحسن أن ننتظر..

التاجر: ليمعن في الهزاء بنا؟!

الشبندر: سيضيع أملي بعد أن ضاعت نقودي. افهم يـا

بجم.

التاجر: تشتمني!

الشبندر: (حائرا) ماذا أفعل لك؟

التاجر: (جانبا. وهو يشير للجلاد) وهذا الولد نائم! قم فز يا ولد! (يلكزه فينهض مضطربا) نائم لحد ما يجيء أحد أصحابه يسرقه؟!

الجلاد: لا أحد مر من هنا يا سيدي. أنا صاحي..

التاجر : فتح عينك. عمى في عينك!

(يدخل قفة وقد لبس عبـاءة والتحـى بلحيـة ووضع على رأسه عمامة كبيرة جدا)

قفة : (جانبا) وهو يجذب لحيته المربوطة حول ذقنه) هذا هو الحل. لابد من المخاطرة لإنقاذ سيدي. (بصوت أجش آمر) يا أهل هذه البلد. أعنـدكم ضيف من أولاد الملوك يتنزه اسـمه الأميـر علي جناح التبريزي؟

الشبندر : (بلهفة) نعم. نعم. من أنت؟

قفة : أنا شيخ قافلته التي تتبعه.

الشـ ـ ـبندر (معا) من؟!

التاجر :

قفة : (يقفز مبتعدا من صرختهما. بصوته الأجش) جنت البلد! ألم يذكر لكم أن له قافلة؟!

الشـ ـ ـبندر، وما صدقناه!

التاجر :

قفة : (بصوته الأجش) لخسة عقـولكم. أيـن أجـد قصره؟

الشـ ـ ـبندر، (معا) قصره؟!

التـ ـ ـاجر،

الجلاد:

قفة : (يقفز مبتعدا من صرختهم. بصوته الأجش) ما لم يرددون كلامي كالمجـانين. أيـن ملكـكـم لأسأله؟! (جانبا بصوته) أخوفهم أكثر...

الشبندر : (جانبا للتاجر) والعمل؟

التاجر : (حائرا.جانبا للشبندر) نتحقق..

الشـ ـ ـبندر يا أبو عقل تخين!! (يلكم الجلاد) اصح يا مغفل

: وأطلق السيد. (يجري الجلاد نحو علي يحـز بسيفه أربطته بينما لشبندر يسجد تحت قدميه) يا سيدي وتاج رأسي. أبشرك ولي البشرى..

التاجر : (الحق بهما. يلكم الجلاد) أسرع يا أبله. (لعلي) سيدي وأميري ومولاي..

قفة : (أدركهم. يتظـاهر بمنتهـى الدهشـة وبقـوة المفاجأة. بصوته الأجش) مـاذا؟! أنـت يـا سيدي؟! من فعل بك هذا؟! إن كـان ملكـا أو شبندرا أو وزيرا.. لابد مـن دك هـذه البلـد ونهبها.. آه يا سيدي.. ألا تعلمون يـا رمـم الأرض أني حسن شر الطريق تسبق كلمتي؟!!

الشبندر : (يتوسل إليه) لا لا لا. لا أحد فعل أي شـيء. افهمني.

التاجر : (يلحق بقفة متوسلا) لا تغضب يا سيدي. نحن خدمه كنا نخدمه. وأقل من خدمناه.. تقـول إن القافلة..

قفة : (بصوته الأجش) سيدي!

الجلاد : يا سيد لا تكبر الموضوع. السيد أراد فقـط أن

يشم الهواء.. وعندك أهه بكل تبجيل واحترام.
(يتقدم على يدعك رسغيه والجميع ينحنون لـه مرارا. قفة يأخذه جانبا)

الشبندر : والقافلة؟ اهي في الطريق؟

قفة : (بإشارة يمنعه من الاقتراب. بصوته الأجـش) ابتعد أنت. (بصوته الطبيعي. جانبـا لعلـي) سيدي. الفرار الفرار. أنا قفة.

علي : (جانبا لقفة) ماذا أخر القافلة؟

قفة : (يتلفت حواليه فلا يجد أحدا على مقربة. جانبا) ماذا أقول لهذا السيد؟! (جانبا لعلي) اسمع يـا صاحبي. إن تأخرنا دقيقة سيسبقنا اللصـوص إلى القافلة! هيا اجري!

علي : لصوص؟!

قفة : نعم. لا تؤخرنا لحظة. (الشبندر بصوت أجش) أعندكم حصانان قويان..

الشبندر : ليس أحسن من خيـل الشـرطة. اسـمع يـا عسكري. هات ثلاثة أحصنة بسرعة.. وأنـت يا عسكري. أسرع إلى الملك أوقظه وبشّره.

(اثنان من العساكر يخرجان بسرعة)

(تدخل الأميرة وجاريتها)

جاءت القافلة يا مولاتي. ونحن ذاهبون للقائها.

قفة : (بصوته الأجش) أنت لا. نحن الاثنان. فهـذه لحظة لابد أن يلتقي المالك فيها بملكه وحـده ويتمم على كل شيء..

الأميرة : (منفعلة) يا زوجي! (ترتمي في حضنه) خذني معك..

علي : نعم. يجب أن نتبعكم من بعيد؟

قفة : (بصوت أجش) لا أحد.

الأميرة : (لجاريتها) اذهبي للقصر وبلغي أبي.

الجارية : والله أنا عقلي تاه!

(يدخل العسكري)

العسـكري: الخيل يا مولاي.

(يهمون بالخروج، أهالي يتدفقون على المسرح وهم يلوحون للراحلين. يجمد المشهد على هيئة لوحة ثابتة)

(ستار)

عن المسرحية

استوحيت قصة التبريزي وقفة من ثلاث حكايات في " ألف ليلة وليلة" .. هي حكاية المائـدة الوهميـة، وحكايـة الجراب، وحكاية معروف الإسكافي.

تصور الأولى شابا غنيا يمازح ضيفا عابرا ماحكـه طمعا في كرمه. وتصور الثانية رجلا وقـع ضـحية وهـم عجيب بأن الدنيا بأسرها تلخصت فكانت في جراب صـغير خيل له وهمه أنه مالكه. أما الثالثة فتحكي عن إسكافي فقيـر أراد أن يتجنب في غربته هوان السـؤال فتظـاهر بـالثراء وبالسخاء حتى انهالت عليه الهدايا والقروض ممن طمعوا في ثرائه وسخائه المزعومين.

ومع أن الحكايات الثلاث متباعدة من حيث مواقعهـا في " ألف ليلة وليلة" ومن حيث جوهرها ومذاقها. فقد ألحت على فكرة أناه متجانسة جدا.

فكل من الأبطال الثلاثة أملى عليه تكوينـه النفسـي وخياله الخاص الرغبة في إيهام النفس والغير – باقتـدار – بوجود غير الموجود في الواقع.

والإيهام فعل يصدر عن ملكه عظيمة مـن ملكـات الإنسان- التخيل والتخييل. ملكة شديدة التنوع وعجيبة.

بهذه الكلمة يستطيع الإنسان أن يتعامل مـع رمـز الشيء أو صورته وكأنه يتعامل مع الشيء ذاته.. فيتعامل مع الأرقام الخريطة كأنه يتعامل مع الأرض والبحار والجبال.. ويتعامل مع والمعادلات وكأنه يتعامل مع ذات الأشياء التـي ترمز لها هذه الأرقام والمعادلات.. ويتأثر بالفنون كأنه يتأثر بأفعال واقعية في الحياة.

ولكن الإيهام الذي يمارسه الإنسان بالبداهـة وبكـل ارتياح في تفاصيل كثيرة من تفاصـيل حياتـه اليوميـة لا تخضع لحكم واحد أو صفة واحدة.

الناس تصفه أحيانا بالموهبة الفنية القادرة، وأحيانـا بالاحتيال أو بالجنون.. حسب غاية وقصد صانعه – لا، بـل حسب تقديرنا نحن لغاية وقصد صانعه.

(ملحوظة: بعض النـاس يعتبـرون التمثيـل فنـا، وبعضهم يعتقدون أنه مجرد جنون وطيش، ويوجد من يـرى أنه ضرب من الاحتيال)

ما علينا. ولنبدأ من البداية.

من هو علي جناح التبريزي؟ ومن هو قفة؟

لم أتصور أبدا أن أيا منهما عاش في مدينة بعينها ذات عصر بعينه شأن الشخصيات المسرحية الواقعية أو التاريخية. ولعلهما يختلفان في ذلك حتى شقيقهما أبو الفضول حلاق بغداد كما صغته بنفسي. أتخيل أننا لو شئنا أن نستخرج لأي من الأبطال هذه المسرحية " علي جناح التبريزي وتابعه قفة" بطاقة شخصية لتعين علينا أن نسجل فهي محل ميلاده: " ألف ليلة وليلة" وتاريخ الميلاد: ذات ليلة.

وبذلك نتجنب نحن الممثلين والمخرجين والمتفرجين والقراء تصور أي من أبطالنا على أي نحو واقعي أننا أتصورهم على المسرح مجردين من أي إيحاء واقعي.

ولا يتنافى هذا أبدا مع كونهم هذا أبدا مع كونهم شخصيات حقيقية. كما أن الحلم حقيقي مع أنه لم يحدث في الواقع.. كما أن الخيال والأفكار المنطلقة من الوجدان حقيقية رغم أنها لم تكتسب شرعية الوجود الواقعي.

لذلك أتصور الإطار المناسب للمسرحية معتمدا على تأثيرات الحواديت الخيالية سواء في الأداء أو في الحركة أو في الديكور والملابس أو في سائر المؤثرات الفنية.

ذلك أن الإطار الواقعي، المؤثرات الفنية الواقعية لابد أن تحطم أجنحة " علي جناح التبريزي وتابعه قفة" وتهـوي بها من السماء إلى الأرض. وعندئذ ستتحول هذه الخـاطرة السحرية التي تستمد جمالها من طابع الحواديت الشعبية إلـى مجرد قصة محتال واقعية ورخيصة.

ولعله من قبيل التزيد غير المناسب أن نتحدث فـي شأن القافلة، فنشق بقسوة صدر العصفور الاستوائي الجميـل لنشرح قلبه. ويستدرجني لهذا التزيد القبيح أننا درجنا علـى محاولة إخضاع كل شيء لتحليل والتفسير فلم نترك لشـاعر خاطرة دون أن ندخلها معاملنا العاطلة عن الجمال لنزهـق روحها بالشرح والتعليم. حتى اللوحات الفنية والموسيقى لـم تسلم من تطلعاتنا التعليمية.

في تصوري أن قافلة التبريـزي، وتوقعـات مـن صدقوهن لم تكن إلا شكلا صاغ فيه الناس أشـواقا قديمـة ساخنة، أمل تعلقت به القلوب.

أعتقد أنه من قبيل توقعات العلمـاء فـي عصـرنا الحديث عن ثمار التقدم التكنولوجي. وتوقعات النـاس عمـا سيتمخض عنه تحقيق سلام دائـم فـي العـالم وتخصـيص ميزانيات الحرب لرفاهية الإنسان..

القافلة. نعم ستجيء وهي الجـزاء العـادل لجهـاد الإنسان في السلم والحرب والعمل مواجهة المشقات.

إنها اللوحة الخضراء وراء الجبل. الأمل.

ولعل التبريزي قد استثمر هذا الأمل بغير اسـتقامة. أو لعل قفة استثمره بشطارة الكوميديان الشـعبي ورخصـته الشاملة ليعاقب الأغنياء ويغدق على الفقراء.

ساخرا طوال الوقت هو وصاحبه ممن حوله، يحيك المقالب ويقع في حبائل مكائده.

ولكننا نجد التبريزي فجأة وقد تحول من الإيهام إلى التوهم وقد كانت نفسه دائما على اسـتعداد لهـذا التحـول، فانضم بذلك إلى صفوف " أصدقائه الفقراء" انضماما كـاملا أثار عليه قفة.

ولا أجدني أنسب وأحق من يرسم الخط الفاصل فـي شخصية التبريزي بين المبشر والمحتال، أو بين الممثـل أو المجنون..

وإن كنت ألاحظ- بغير قليل من الدهشة- إننا عـادة نغفر المزاعم الخيالية إن اتخذت صورة المزاح أو الفن، بل ونبتهج لها.. ثم نفقد مرحنا فجأة إذا تبينا المزحـة أصـابت أكياس النقود.

إن المهرج يرى وجوها ضاحكة ومنتشية من حوله، فإذا ما أغراه ذلك بأن يمد قبعته للمشاهدين صـدمه الـتهجم الفجائي غير المبرر.

على أية حال، فلنعد من استطرادة استدرجت إليهـا استدراجا، وفي اعتقادي أن كل ما بها من تحليل أو تفسير لا يعدو أن يكون قياسا للخيال الطليق بأدوات القياس المحدود.

إنه ثنائي التبريزي وقفة، وحكايتهما مـع الحيـاة – بأصولها الشعبية وإضافاتي المتواضعة – حلم جميل أبهجني وأردت أن أبهج به غيري.. حلق بي، وأردت أن يحلق بـه غيري.. طيف رقيق انبثق عن رغبات الطفولة فـي نفسـي وأردت له أن يمس أوتار الطفولة في النفـوس.. بحلاوتـه

الشعبية، وخياله الطلق، وبما يتلألأ فيه من حـب، ومـرح وفكاهة، وإشارات لجمال الحياة.

وقصدت أن أصوغ حكايتهما مـن نغمـات شـعبية صافية وساذجة، بالدق على أوتار عربية خالصة، وأهـديها لأشواق الطفولة. غير أني لابد أن ألفت النظر هنا إلـى أن الإنسان منذ ألف عام، حين صاغ حواديت " ألف ليلة وليلـة" وقبلها.. قبل أن يتمخض ذهنه عن الأفكار الاشتراكية وأفكار العدل الاجتماعي بآلاف السنوات.. كان يحلم دائما – في جده وفي هزله- بالعدل المادي.

كيف لا يحلم الجائع بالطعام الوفير، وكيف لا يتخيل المحروم ورقيق النفس عالما لا حرمان به؟

إن ضمير الإنسان ظل يقظا للاعتراض على الواقع المرير أو المختل، فيعبر عن اعتراضه هذا الأسلوب الـذي تجود به قريحة كل عصر.

وقد تصورت أن أحلام المؤلف الشعبي المبدع في " ألف ليلة وليلة" قد حلقت في سماوات العدل التي حلق فيهـا مؤلف حكاية " روبين هود" المنسوجة من خيـوط الخرافـة، والمطلوبة في الحقيقة.

وهكذا أبدع المؤلف الشعبي الخيوط الكثيـرة التـي نسجت منها شخصية التبريزي.. مغامر.. صعلوك. مترف. ذكي. جسور.. مرح.. متلاف.. حاذق.. ممثـل.. خيـالي.. شارد في عالمه الخاص. محب للحياة و الجمال. طالب عدل.

والخيوط الأخرى التي صاغ بها شخصيات الحرفيين الكثيرين في ألف ليلة وليلة، والتي نسجت منهـا شخصـية قفة.. الساخر الصـعلوك. المـدبر.. الـواقعي. المتشـبث بالممكن. المحب للحياة والمـرح. كبيـر القلـب متواضـع الأحلام.

هذا اعتراف بديني الفني لمؤلف ليلة.. وهو مصـدر أي حب يمنحه القارئ للثنائي الغريب، والسبب الذي تفتح به قلب الأميرة الرقيق لفارسها الجميل.

أنتجت هذه المسرحية فرقة المسرح الكوميدي مـن إخراج الأستاذ عبد الرحيم الزرقـاني، وتصـميم الـديكور والملابس للسيدة نهى برادة. وضع أغانيها الأسـتاذ صـلاح جاهين ولحنها الأستاذ رجب وقام بـأداء أدوارهـا حسـب الظهور على المسرح:

أبو بكر عزت	في دور التبريزي
عبد الوهاب خليل	في دور صواب
عبد المنعم إبراهيم	في دور قفة
مجدي وهبة	في دور المالك
جمال شبل	في دور التاجر
محمود التوني	في دور الشبندر
مكرم المصري	في دور صاحب الخان
سامية أمين	في دور الأميرة
فيفي يوسف	في دور الجارية
عباس فارس	في دور الملك
وحيد عزت	في دور الوزير
نبيل دسوقي	في دور القاضي
محمد منصور	في دور المتخاصم الأول
عبد الهادي أنور	في دور المتخاصم الثاني
أحمد حمدي سيف النصر	في دور الجلاد

ساعد في الإخراج محمود أبو زيد والإدارة المسرحية زكريا صالح وعبد العزيز المنصوري.

الفهرس